

الجنة والنار في الهندوسية: دراسة نقدية مقارنة من وجهة نظر إسلامية

أمة الرفيع محمد بشير

لا شك أن لدى الإنسان قديماً وحديثاً، في البدو والحضر، وفي الأصقاع المختلفة حتى لدى الجاهل والعالم شعوراً خفياً يشبه الإلهام الفطري بأن وراء هذه الحياة حياة أخرى تتحقق فيها العدالة التي يفقدها الإنسان في هذا العالم، وينال فيها جزاء أعماله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. ويؤكد الشيخ محمد عبد الله دراز هذه الحقيقة قائلاً: "إن الحقيقة التي أجمع عليها مؤرخو الأديان هي أنه ليست هناك مجموعة إنسانية، بل أمة كبيرة ظهرت وعاشت، ثم مضت دون أن تفكر في مبدأ الإنسان ومصيره، وفي تعليل ظواهر الكون وأحداثه" (١).

كما ينبّه عليها ابن رشد قبل هذا قائلاً: "إن المعاد مما اتفقت على وجوده الشرائع، وقامت عليه البراهين عند العلماء، وإنما اختلفت الشرائع في صفة وجوده" (٢).

فكل هذه التقارير لا تدل إلا على وجود إلهام فطري في نفس الإنسان، وهو إيمانه بالحياة الآخروية، وشوقه إلى الخلود، سواء في هذا العالم أو في العالم الآخر. فجاءت الشرائع الإلهية لتلبي هذه الحاجة الإنسانية الفطرية.

١ - الجنة في التصور الهندوسي:

وانطلاقاً من هذا المبدأ نجد أن الهندوسية - منذ عصر قديم - اعتقدت بهذا الركن الأساسي العظيم، وأدركت أن الدنيا دار سعي وكد واجتهاد وعمل وسفر للدار الآخرة، إلى أن يفوز الإنسان بدار

١ - محمد عبد الله دراز، الدين، دار القلم، الكويت، ١٩٨٢م، ص ٣٨.

٢ - ابن رشد، مناهج الأدلة في عقائد الملة، تقديم وتحقيق: محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ٣، بدون التاريخ، ص ٢٤١.

المثابة ومنزلة الكرامة. ومن هنا نجد النصوص الدينية المقدسة تهتم بذكر المفاهيم الخاصة بهذه العقيدة؛ فمثلاً نجد سويتاسواتارا ابانيشاد يقول عن الإله إيشاوارا: "وهو إله الخلود كذلك" (٣)؛ أي الذي يمنح الخلود في الحياة الأخروية.

ثم سانكهيا سوترا (Sankhya Sutra) يؤكد مسؤولية الإنسان عن أعماله في هذه الحياة والحياة الأخروية كذلك، فيقول: "كل ظهر لا بد وأن تحمل أثقالها" (٤).

أو كما ورد في كاتها ابانيشاد (Katha Upanishad): "فقال نكيكتاس (Niceketas): في عالم الجنة لن يكون هناك خوف ولا حزن، ولن يخاف أحد من الشيخوخة والهزم، ولن يشعر بالجوع والعطش، وسيترك الأحران وراءه، ويفرح ويشعر بالابتهاج والسرور في ذلك العالم" (٥).

فكل هذه النصوص وأمثالها التي أوردتها على سبيل المثال لا الحصر، تدل على وجود حياة بعد الموت يجاسب فيها الإنسان على ما عمله في الحياة الدنيا، فيزرع هنا ما يحصده هناك؛ إما في الجنة إذا كانت أعماله صالحة، أو في جهنم إن كانت طالحة. والجنة عندهم أعدت للصالحين الذين يقومون بالواجبات الدينية، مثل تقديم القرابين، وممارسة التنسك والزهد وغيرها من الأعمال الصالحة التي تورث السعادة للإنسان في حياته الأخروية المتمثلة في الجنة والتمتع بنعيمها.

وقد أشارت الكتب الدينية المقدسة للديانة الهندوسية إلى هذه الأعمال التي تؤدي إلى الفوز بالجنة، فمثلا علم الروح ومعرفتها من حيث إنها مستقرة في قلب الإنسان وأعماله، فالذي عرف وأدرك هذه الحقيقة فإنه يقترب كل يوم من سوارجا أي الجنة (٦). ثم الذي عرف اسم برهما ستياما، الذي يشتمل على ثلاثة مقاطع: ست، تي، ويام، والمراد بست (Sat) الأبدي، وتي (Ti) الفاني، ويام (Yam) الذي يربط بين الحياة الفانية والباقية، فلذلك هو يام (Yam). فالذي أدرك هذا فإنه يقترب من الجنة يوماً فيوماً (٧).

وكذلك الذين يُقتلون أثناء حمايتهم للبقرة، أو برهمن، والملك أو صديقهم، أو عقارهم، أو زوجتهم، أو خيامهم، فإن هؤلاء يستحقون الجنة (٨).

-
- ٣- Savitasavatra- Upanishad, part-II, *Sacred Books of the East*, ed. & translated by Max Müller, Aryan Books Int'l., New Dehli, Vol. ١٥, ١٩٩٣, p. ٢٤٤
٤- *The Sankhya Aphorisms of Kapila*, Translated by James & Ballantyne, Munshi Ram Manoharlal publishers, New Dehli, ٢٠٠٣, p. ٢٠
٥- The Katha Upanishad, part-II, *Sacred Books of the East*, op.cit. p. ٤
٦- The Khandogya Upanishad, part-I, *Sacred Books of the East*, op.cit. Vol. ١, p. ١٢.
٧- Ibid, p. ١٣٠.
٨- The Institutes of Vishnu, *Sacred Books of the East*, Translated by Julius Jolly, op.cit. Vol. ٧, p. ١٨.

والزواج الشرعي أيضاً يعتبر من العمل الصالح الذي يساعد الإنسان في الحصول على الجنة والتمتع بنعمها وفقاً للتعاليم الهندوسية، وذلك مصداقاً لما ورد في مبادئ وشنو: "إن الابن الذي يتنج من زواج برهما (أي الزواج الشرعي)، فإنه يدخل الرجال المذكورين الجنة، وهم واحد وعشرون رجلاً؛ عشرة من الأسلاف أو الآباء، وعشرة من الأولاد، والرجل الذي تولى زواج ابنته أو أخته لهذا الزواج الشرعي فإنه يستحق الجنة^(٩). وكذلك القيام بالصالحات في العمر الطويل أيضاً يورث هذه السعادة^(١٠).

كذلك تقدر الديانة الهندوسية الإنسان الذي يهتم بالقيام بواجباته تجاه أسرته في ضوء القواعد والضوابط الشرعية، مصداقاً لما ورد في بهجاوت كيتا: "إن برهمانا (Brahmana) سيد الأسرة الذي اهتم بوعوده، والذي التزم بالقيام بواجباته، ولم يهمل دوره في أسرته، فإنه لا بد وأن ينال الجنة"^(١١).

وتحت نصوص الديانة الهندوسية على اتباع الحق، وما ذلك إلا لأنه يؤدي إلى الظفر بالجنة في العالم القادم، ولذلك يقول النص: "إن الأرض قائمة بالحق، والحق يجعل الشمس تطلع من الشرق، فعليك الالتزام بالحق، وترك الباطل، بل والابتعاد عنه؛ لأنك بالحق وحده تستطيع أن تنال الجنة"^(١٢).

ثم نجد أن ساتها باتما برهمانا يربط بين تقديم القرابين والفوز بالجنة في الحياة الأخروية، بل نجد ظاهرة القرابين تستولي على هذا الكتاب، إلى حد يكاد الإنسان يفكر بأنها من أقوى العوامل، ومن أهم الأعمال التي تورث دخول الجنة في ذلك العالم وفقاً للمفاهيم الهندوسية؛ فمثلاً ورد في ساتها باتما برهمانا قوله: "فتصعد القرابين إلى القبة الزرقاء، والقبة الزرقاء هي عالم الجنات، فيصعد الذي يقدم القرابين إلى هذه الجنات"^(١٣).

ثم بيّن لنا هذا الكتاب كيفية صعود الإنسان إلى الجنة عند تقديم القرابين، فيقول: "ثم هو (ادهواريو Adhvaryo) يرى ساق الكلاً في تلك الحفرة، ويقول هذا المنرا (نص) إنك مرتقى الآلهة؛ لأن الآلهة صعدوا إلى عالم الجنات عن طريق تقديم القرابين، وهم صعدوا عن طريق تلك الحفرة؛ ولذلك تعتبر القرابين طريقاً إلى الجنة"^(١٤). فالآلهة نالوا الجنات بعد تقديم القرابين، وهكذا يستطيع الإنسان نيلها.

وهناك نص آخر يؤكد هذه الفكرة حيث ورد فيه: "إن الآلهة قد صعدوا إلى الجنة بتقديم

٩- Ibid, p. ١٠٢.

١٠- Ibid, vol. ٧, p. ١٥٦.

١١- The Bhagavadgita, *Sacred Books of the East*, Translated by Kashinath Trimbak Telang, M.A, op.cit. Vol. ٨, p. ٣٦٠.

١٢- The Minor Law Books, *Sacred Books of the East*, Transl. by Julius Jolly, op.cit. Vol. ٣٣, p. ٩٣.

١٣- The Satapatha-Brahmana, part-III, *Sacred Books of the East*, Translated by Julius Eggeling, op.cit. Vol. ٤١, p. ٣٢٢.

١٤- Ibid, Vol. ٢٦, p. ٣٠٧.

القرابين"^(١٥). ويبين نص ثالث كيفية صعود الإنسان إلى عالم الجنة عن طريق القرابين، فيذكر أن هناك رقابة خشبية للحاذق، وهي تعتبر مرتقى إلى عالم الجنات، وهناك حزام، وبعد الحزام حلقة على القمة، ومن هنا يرتقي ويصعد إلى الجنات العالية^(١٦).

وتتضح أهمية تقديم القرابين من أجل دخول الجنة من نص ورد في القوانين المقدسة للآريان، ويبين أن الآلهة والناس كانوا يسكنون في هذا العالم المادي سابقا، ولكن الآلهة قد صعدوا إلى الجنة - فيما بعد - نتيجة لتقديم القرابين، فبقي الناس وراءهم، فالذين يقدمون القرابين اتباعا للآلهة يستطيعون الالتحاق بهم في الجنة بعد الموت. وعندما رأى منو (Manu) أن الناس قد بقوا في هذا العالم ولا يعرفون كيف يصعدون إلى الجنة، أوحى هذه الطقوس الخاصة بتقديم القرابين لخلاص الناس حيث يستطيعون دخول الجنة^(١٧). ولذلك نستطيع أن نستخلص بعد عرض هذه النصوص من الكتب المقدسة، أن الديانة الهندوسية تحث أتباعها على القيام بالصالحات، وخاصة بتقديم القرابين، حتى يستحق الإنسان دخول الجنة.

١.١ : صفات الجنة:

تعتقد الهندوسية أن الجنة لها صفات عديدة، منها:

أولا: أن الجنة أبدية:

وفي ذلك يقول تالواكارا ابانيشاد: "إن الذي تعلم الابانيشادات، وتخلص من جميع السيئات، فإنه لا غرو يستحق الجنة الأبدية التي لا نهاية لها، ويصعد هذا الإنسان إلى عالم الجنة"^(١٨). فالجنة أبدية أزلية بطبيعتها في الديانة الهندوسية. ويعني ذلك أنها غير مخلوقة، وأنها موجودة الآن.

ثانيا: أن الجنة هي القبة الزرقاء:

لقد ورد في نصوص عديدة أن الجنة هي القبة الزرقاء، فيقول ساتهاپاتما برهمانا في هذا الصدد: "إن الذي يقدم القرابين المشتملة على الطعام والزيت، ويقرأ النصوص من الكتب المقدسة، فإنه يستحق الصعود إلى القبة الزرقاء، وهي عالم الجنات"^(١٩).

١٥- Ibid, part- I, Vol. ١٢, p. ١٥٧.

١٦- Ibid, Vol. ٢٦, p. ١٧٣.

١٧- Sacred Laws of Aryas, part-I, *Sacred Books of the East*, Transl. by Georg Buhler, op.cit. Vol. ٢, p. ١٤٠.

١٨- The Talavakara Upanishad, part-I, *Sacred Books of the East*, Ed. & Translated by Max Müller, op.cit. Vol. ١, p. ١٥٢.

١٩- The Satapatha Brahmana, part-I, op.cit. Vol. ٤٣, p. ٢٥٠.

ويرى نص آخر أن الآلهة الذين قدموا القرابين للإله براجباتي، صعدوا إلى القبة الزرقاء، وهي الجنة، فيجب على الناس اتباع الآلهة في هذا الصدد، لكي ينالوا تلك القبة الزرقاء^(٢٠). وهم كانوا قد أسسوا القدوة لهؤلاء الصالحين.

ثالثاً: عالم الأتقياء والصالحين:

من الصفات التي تتسم بها الجنة، أنها عالم الأتقياء والصالحين؛ ولذلك يغلب عليها طابع الخير والبركة والسعادة، والكل يبتهج فيها ابتهاجا عظيما. فيوصي نص ساتمهاباتها برهمانا كل هندوسي بتقديم القرابين والالتزام بالصالحات من أجل الوصول إلى عالم الأتقياء والصالحين؛ فورد فيه: "استقم وامض يا أجنبي (Agni) من أجل تسوية الطرق التي تقود إلى عالم الآباء (عالم الجنات)؛ لأننا بهذه الطرق سنمضي مع القرابين إلى ذلك العالم، حيث نصل إلى تلك القبة الزرقاء التي تتلأأ بأشعتها السبعة. وهو عالم النور، فالذين قدموا الثريد كتقدمة، يستحقون الصعود إلى الجنة. وهو عالم الأتقياء والصالحين، وعالم القبة الزرقاء"^(٢١). فالإنسان يسعد هناك في صحبة الصالحين والأتقياء؛ لأنه كان قد فاز بالفوز الأخروي، وتخلص من دائرة التناسخ، ونجا من النار.

رابعاً: الجنة ذات أشكال مختلفة:

لقد ورد نص في امهروا ويدا يدل على أن النعم الموجودة في الجنة تنقلب إلى أشكال مختلفة حسب الظروف المختلفة، وذلك حسب رغبات الإنسان الصالح، ولذلك ينبغي التضرع بهذا الدعاء حتى يستطيع الإنسان أن ينال مرامه وهدفه، وهو "احفظ يا إله هذا الطريق (طريق ياما) لنا إلى أن نصل هناك، وقُدنا إلى الهدف المتعالي، فمن الشيخوخة حولنا إلى الموت، ثم إلى ياما الذي يستقبلنا"^(٢٢). إذاً نعم الجنة تتخذ في الرؤية الهندوسية أشكالاً عديدة حسب أعمال الإنسان الصالحة، فلذلك يجب التضرع بهذا الدعاء من أجل التمتع بهذه النعم كلها.

٢.١: أنواع الجنات:

أما نوعية الجنات في الهندوسية، فوضحها لنا آرونند شرما مبينا "أن الجنات يمكن أن تقسم إلى قسمين:

١- الجنات الكارمية (Karmic Heavens)

٢- جنات العبودية (Devotional Heavens)

٢٠- Ibid, p. ٣٠٤.
٢١- Ibid, part-V, Vol. ٤٤, p. ١٨.
٢٢- Athrva Veda, op.cit. Vol. ٤٢, p. ١٩٢.

أما الجنات الكارمية، فهي التي تخضع لقانون الكارما. وعلى الرغم من أنها مكان البهجة والسعادة، فإن الهندوسي يدخلها كي يستهلك المادة الكارمية هناك لمدة معينة تحددها أعماله الحسنة، وبعدها يستهلك هذه المادة بتمتعه بنعم الجنة، يعود إلى الأرض ليولد من جديد في طبقة عليا^(٢٣).
وأما الجنات الخاصة بالعبودية، فإنها تكون لإله معين، فهي التي لا تخضع لقانون الكارما، وإنما يدخل الإنسان بدخولها المنطقة الإلهية، ويشارك الإله في الوجود. وتعتبر هذه الدرجة أحسن من الأولى، وهي الحقيقة المطلقة أو السعادة اللانهائية.

ولقد وضح لنا آرونند شرما هذا الأمر بالجدول التالي:

نوعية العمل	أنماط العبادة	طبيعة الخلاص
١- العبادة (كاريا- Karia)	عبودية الإله (داسا Dasa)	البقاء في منطقة الإله (سالوكيا Salokya)
٢- الخدمة الودية المخلصة (كريا Karia)	البنوة الصادقة (ست بترا Sat Putra)	التقرب من الإله (سامايا Samapia)
٣- التأمل الباطني (Yoga)	الصدقة الإلهية (ساکها Sakha)	تحول الإنسان إلى الإله (ساروبيا Saropia)
٤- معرفة الإله مباشرة (جنانا Janana)	إدراك الإله كحقيقة مطلقة (سات Sat)	الاتحاد مع الإله (سايوجيا Sayogia)

وأوضح ما اشتمل عليه الجدول قائلا: "إن الإنسان هناك يشبه الطالب الذي سجّل اسمه للدراسة في جامعة ما يريدّها، وهناك نائب رئيس الجامعة الذي يشبه الإله في هذا المثال، فإذا سجّل الطالب في الجامعة وأثبت وجوده، فهذا هو سالوكيا، ثم إذا اجتهد الطالب وتقرّب من رئيس الجامعة، فهو سامايا، ولو لبس نفس الشعار والأوسمة، لأصبح ساروبيا. وأخيراً لو صار رئيس الجامعة يعتمد عليه؛ يبين له ويناقش معه الأمور السرية الخاصة بالجامعة، فقد صار سايوجيا"^(٢٤).

٣.١: الأنواع الأربعة للسعادة في الجنات:

ثمة أربعة أنواع للسعادة والنعم يتمتع بها الإنسان في الجنة حسب الديانة الهندوسية، وبناء على ذلك فإن مفهوم الفلاح الأخرى والسعادة يشتملان فيها على الأنواع الأربعة للسعادة، وهي:

٢٣- Ibid, p. ٢٤٣.
٢٤- Sharma, Arvind, *A Hindu Perspective On The Philosophy of Religion*, The Macmillan Press, ١٩٩٠, pp. ١٣٥- ١٣٦.

أولاً: دخول إحدى الجنات الخاصة بالآلهة:

توفر الهندوسية فرصة لاختيار إله ما للعبادة، وهؤلاء الآلهة - كما سبق قريباً - لهم جنات خاصة بهم^(٢٥)، فيدخلها الأتباع بعد الموت، ويتمتعون بالنعم الإلهية والسعادة والبهجة؛ بناء على الأعمال الصالحة المتمثلة في احترام وخدمة البراهمن، وتقديم الهدايا لهم، وزيارة الأماكن المقدسة، والبقاء بها، والقيام بالعبادات، وبناء المعابد، وإنشاء الطرق، وغرس الأشجار. فإن جميع هذه الأعمال تجعل الإنسان يدخل الجنة الخاصة بإله كان يعبد في حياته.

ثانياً: تأليه الإنسان:

ويعني ذلك أن الإنسان يستطيع عن طريق ممارسة عبادات معينة الوصول إلى درجة الإله، فيصير إلهاً بطبيعته، حيث يغلب عليه طابع الخير؛ وذلك وفقاً لما ورد في بهجاوت كيتا: "إن الذي سيطر على نفسه، وقام بتهدئتها وتربيتها، فإنه يصير مثل الإله، ويسكن مع الآلهة في الجنة، ويحصل على صفة الخير"^(٢٦). وفي ذلك تحقيق كمال السعادة الإنسانية التي يتمتع بها في الجنة.

ثالثاً: البقاء مع الآلهة في مناطقهم:

وتعتبر من أعظم النعم التي يتمتع بها الإنسان في الجنة الهندوسية، وبه تقول الأبايشادات حيث ورد فيها: "إن الجنة هي المكان الذي يبتهج فيه الشعراء وهم يسكنون مع الآلهة، فبعد التخلص من السيئات، إن الإنسان الصالح المستنير يصعد إلى عالم سوارجا (الجنات)، حيث يصير متمتعاً بصحبة الآلهة"^(٢٧). فيتمتع بالكمال والسعادة اللامحدودة هناك.

وهنا لا بد أن يكون في أذهاننا أن هذه الأنواع الثلاثة من السعادة مؤقتة، وليست بأبدية، وعندما يستهلك الإنسان المادة الكارمية، فلا بد من رجوعه إلى الأرض حتى يولد هناك، ثم يبتلى ويمتحن ويبدأ حياته من جديد، إلى أن يستحق النوع الأخير من السعادة.

رابعاً: الاندماج والاتحاد بالروح الكلي:

وهذه هي الغاية المطلقة، والسعادة اللانهائية، والخلود السعيد، وجنة الإنسان النهائية وتتحقق عندما تفقد الروح هويتها الذاتية، وتندمج في الذات العليا؛ لأنها كانت قد فاضت عنها في البداية، فتندمج في الحقيقة المطلقة تماماً مثل قطرات الماء التي تسقط في البحر، فتفقد وجودها الذاتي^(٢٨).

٢٥- Bowker, Jhon and Healm, *Worship*, Pinter Publishers, London, ١٩٩٤, p. ٨٧.

٢٦- Bhagvat Gita, Vol. ٨, p. ٣٢٧.

٢٧- Ibid, p. ٣٢٢.

٢٨- *Modern Hinduism*, Thacker, Spink and Company, London, ١٩٠٠, pp ٤٠٧- ٤٠٨.

إذاً هذه هي الأنواع الأربعة لسعادة الإنسان التي يتمتع بها في الجنة كما تتصورها الهندوسية. وهذه الجنات العديدة يستحق دخولها من قام بالأعمال الصالحة المتمثلة في العبادات، وتقديم القرابين والندور، والاهتمام بالطقوس والمناسبات الدينية. ولقد ورد ذكر هذه الجنات في الكتب الهندوسية، والنعم الموجودة فيها؛ حتى تكون بمثابة الحوافز على العمل الصالح.

٤.١ : بعض الجنات المذكورة في التراث الهندوسي الديني:

أولاً: سوارجا (جنة اندرا):

عرفنا سابقاً أن كل إله هندوسي له جنة خاصة به، وتعتبر سوارجا (Svarga) جنة الإله اندرا التي أعدها لأتباعه وعباده. وقد ورد ذكر هذه الجنة في مهابارتا، حيث تقع على جبل ميرو (Meru)، وهذا الجبل يعتبر مركز الأرض يقع في شمال هملايا. وهناك جنات أخرى قريبة من هذه الجنة مملوءة بكل النعم التي يرغب فيها الإنسان، حيث نجد النص يقول: "هناك بيوت جميلة وفسيحة، وحوها بساتين فسيحة مملوءة بالأشجار المثمرة ذات الأنواع العديدة، وأزهار جميلة تعطر الفضاء، وهناك حوريات جميلات (ابسرا Apasra) يسحرن الناس بجمالهن، ومجموعة من المغنين يغنون هناك. أعمدتها مصنوعة من الماس، وقصورها وأثاثها وعروشها مكونة من الذهب الخالص" (٢٩).

فالمستفاد من هذا النص أن نعيم الجنة يشبه ذلك الذي يجده الإنسان على الأرض، إلا أنها جميلة وأكثر سحراً، ففي هذه الجنة كل ما يرغب فيه الإنسان.

ثانياً: جنة ويكتتها (Vaikantha):

وهي جنة الإله وشنو، وهي تشتمل على شوارع ذهبية، ومبانيها مرصعة بالجواهر، في حين أن عمدها مزينة بالأحجار الكريمة، وبها أنهار الماء البلوري. ويأتي هذا الماء من الجنات العليا. وهناك مكان يجلس فيه وشنو بجانب زوجته لاكشمي (Lakshmi) (٣٠).

ثالثاً: جنة كوبرا (Kuvera):

وقد ورد ذكرها في مهابارتا كذلك، وورد في وصفها أن الهواء يحمل رائحة معطرة في هذه الجنة، وعبيراً ونفحة جميلة بها قصور مزينة ومرصعة بالجواهر والذهب الخالص، ترسل أشعتها مثل الشمس، وبها أنهار المياه الجارية، وفي المياه حيتان، والطيور الجميلة تطير في الفضاء، والأزهار مثل زهرة

٢٩- Buiten, J A B, *The Mahabhrata*, translated, The University of Chicago Press, ١٩٧٥, p. ١٢٨.
٣٠- Krishna, Nanditha, *The Book of Vishnu*, Penguin Books, India, ٢٠٠١, p. ١٣.

اللوتس، كما أنها مملوءة باللؤلؤ والمرجان. ويسكن الإله كويرا (Kuvera) في هذه الجنة. وهناك الغايات (الخوراوات)، والآلهة الآخرون يأتون إلى هذه الجنة ليأخذوا زيتهم وحليتهم، وجميع أنواع العلم موجودة في هذه الجنة^(٣١).

فهكذا نجد ذكر هذه الجنات ونعمها على سبيل المثال، وهنا نجد أن الديانة الهندوسية تجمع في تصورهما للجنة بين النعم الحسية والنعم المعنوية؛ فمثلاً نجد جنة كويرا توجد بها جميع العلوم كذلك، لمن أراد التمتع بها.

وهنا يمكن أن نذكر جنة ياما (Yama) التي يدخلها الصالحون بعد الموت، وبعد محاسبة ياما إياهم، وهي مملوءة بهذه النعم الحسية والمعنوية. وليست هناك جنة من طبقة واحدة فقط، وإنما لكل جنة طبقات مختلفة، فهناك طبقة عليا، وطبقة متوسطة وسفلى. وهناك حراس الجنة أيضاً، مصداقاً لما ورد في النص: "إن هناك خمسة رجال لبرهما، وهم حراس الجنة، فالذي عرف هؤلاء الخمسة، فإنه سيولد في أسرة قوية، ويستحق دخول سوارجا (Svarga)^(٣٢).

وهكذا عرفنا أن الديانة الهندوسية تعتقد بوجود الجنة، وهي أبدية مملوءة بالنعم المختلفة، ولكل إله جنته الخاصة به وبأتباعه. وكل ذلك من أجل تحقيق سعادة الإنسان في الحياة الآخروية. كما نستنتج وجود فكرة الطبقة الهندوسية حتى في تصورهم للجنة، بعد أن وُجدت عندهم الطبقات بين الكائنات الحية المختلفة في هذا العالم المادي.

٥.١: نعيم الجنة:

اهتمت النصوص الدينية المقدسة ببيان النعم التي يتمتع بها الإنسان في هذه الجنات، ومنها - على سبيل المثال لا الحصر - ما يلي:

- أن الحياة في الجنة تخلو من الآلام والمصائب:

ومن المعروف أن هم الديانة الهندوسية ينحصر في تحرير الإنسان من الآلام والمصائب، فالحياة الطيبة المباركة هي التي تخلو من هذه الآلام المتمثلة في ضعف الطفولة، وسرعة زوال الشباب، ثم الشيخوخة والهرم، والأمراض، وأخيراً الموت ودائرة التناسخ. فكلها آلام تعاني منها الإنسانية، ولكن الحياة في الجنة تكون ظاهرة من هذه الأمور؛ فيقرر ذلك بهجوات كيتا قاتلا: "إن هؤلاء البرهمناس الذين

٣١- Modern Hinduism, op.cit. p. ٤٠٨.

٣٢- Khandogya Upanishad, part-I, op.cit. Vol. ١, p. ٤٧.

تحرروا من هذا الكون المادي، فإنهم يصعدون إلى الجنة التي لا تخضع للآلام والمصائب"^(٣٣). فهكذا يستطيعون التمتع بالسعادة هناك.

- لا خوف ولا حزن في الجنة:

تبين الأبايشادات أن الحياة في الجنة لا خوف فيها ولا حزن، وليس هناك موت، ولا أحد يتعرض للآلام التي تعاني منها الإنسانية مثل الشيخوخة أو المرض، ولذلك تبشره قائلة: "إن الإنسان عندما يفارق هذا الكون، ويدخل الجنة، فإنه يترك العطش والجوع هنا، ولا يخاف ولا يجزن هناك، وإنما يتهج ابتهاجا عظيماً"^(٣٤). والإنسان يسعى دائماً بفطرته إلى تحقيق هذه السعادة لنفسه، فالأبايشادات تحثه على القيام بالصالحات؛ حتى ينال هذه السعادة في الجنة.

- النعم المادية الموجودة في الجنة:

بالإضافة إلى النعم المعنوية التي وعدت بها الهندوسية أتباعها؛ مثل الاتحاد مع الإله، وعدم الشعور بالخوف والحزن، والحصول على الألوهية، والحياة الطيبة المباركة، وعدم اتصاف الحياة بالآلام والمصائب في الجنة، فإن ساتهاياتها برهمانا يذكر بعض النعم الحسية كذلك، ومنها قوله: "إن الإنسان الصالح الذي قدم ثروة من الأعمال الصالحة والقرايين والثريد (Poridge)، فإنها تستجلب له السعادة في الجنة. وفيها أنهار ذات أمواج كبيرة، وهي مملوءة بالعسل والزيت (Ghee) وطعام الآلهة، والعطور المتنوعة"^(٣٥). فالإنسان الذي يهتم بتقديم القرايين والأعمال الصالحة يستحق التمتع بهذه النعم المعنوية هناك. وهنا يقول الشارح: "إن الإنسان سيجد هذه النعم في الجنة، وهي مشابهة لنعم الدنيا في الأسماء، ولكنها ستكون أحسن من حيث النوعية في الجنة"^(٣٦). فلذلك عندما يطلع الهندوسي على أساء هذه النعم قد لا يستطيع إدراك نوعيتها، وسيعرف ذلك عندما يصل إلى الجنة.

- الحياة الطيبة والبركة:

تتصف الحياة في الجنة الهندوسية بأنها طيبة ومباركة، ويستحقها من استطاع التغلب على حواسه، والذي أدرك حقيقة العناصر المادية الخمسة والعقل والشعور والإنية والروح، التي لا يمكن إدراكها، وعلاقتها بالكون والإنسان والإله. فإنه يكون قد أدرك الحق، فهذا الحق ومعرفته تقود إلى حياة الجنة، وهي حياة طيبة مباركة^(٣٧)، وفيها تحقيق سعادة الإنسان.

٣٣- Ibid, p. ١٥٩.

٣٤- The Brihadaranyaka Upanishad, part-II, *Sacred Books of the East*, op.cit. Vol. ١٥, p. ٤.

٣٥- The Satapatha Brahmana, part- V, Vol. ٤٤, p. ١٩٠.

٣٦- Haven & Hell, Linda M Tober, *The Encyclopaedia of Religion*, Mircea Eliade, Vol. ٦, p. ٢٤٠.

٣٧- Ibid, p. ٣٦٨.

- البقاء في الجنة مع الآلهة:

من النعم التي يتمتع بها الإنسان في الجنة - وفقاً للرؤية الهندوسية - أن يبقى مع الآلهة في الجنة، فالذين يلتزمون بالصالحات، ويهتمون بالحفلات والمناسبات الدينية، فإنهم يصعدون إلى الجنات، وهي عالم الآلهة (٣٨). وما ذلك إلا لأن الآلهة يمثلون الكمال، وهناك يستطيع الإنسان أن ينال السعادة في صحبة الآلهة.

- أن الأرواح الصالحة تصير مثل الآلهة في الجنة:

من أنواع السعادة التي ينالها الإنسان في الجنة الهندوسية، أنه يصير إلهاً في طبيعته، حيث يغلب عليه طابع الخير والنشاط، وذلك مصداقاً لما ورد في مهابوت كيتا، حيث يبين الإله كرشنا لأرجونا هذه الحقيقة قائلاً: "إن الذي سيطر على نفسه، وقام بتهذيبها وتربيتها، فإنه يصير مثل الإله؛ لأن الآلهة يسكنون في الجنة، وهم يحصلون على صفة الخير" (٣٩). وما ذلك إلا لأن الألوهية تعتبر من الكمال المطلق الذي تحققه الجنة لساكنيها وفقاً للرؤية الهندوسية.

- تحقيق الاتحاد مع الإله في عالم الجنات:

من أعظم النعم التي يتمتع بها الإنسان في الجنة تحقيق الاتحاد مع الإله، وبه تقول الأبانيشادات حيث ورد فيها: "إن الجنة هو المكان الذي يبتهج فيه الشعرون، وهم يسكنون مع الآلهة فيها، وبعد التخلص من السيئات، فإن الإنسان المستنير يصعد إلى عالم سوارجا (الجنات) حيث يصير واحداً مع الإله هرانيا جارها (Hiranya Garbha)، وهو الروح العظمى" (٤٠).

إن تحقيق السعادة للإنسان الهندوسي لا تكمن إلا في الاتحاد مع الإله، أو اندماج الحقيقة الإنسانية في الحقيقة الإلهية.

- السعادة اللامحدودة:

إن الإنسان الصالح الذي اهتم بالقيام بواجباته، يعتبر من السعداء الذين فتحو أبواب الجنة لأنفسهم، وسيتمتعون بالسعادة هناك (٤١). ويستطيع الإنسان أن يحصل على السعادة اللامحدودة الأبدية هناك عن طريق التغلب على الصفات المادية الثلاثة، والعناصر الخمسة التي تشكل حقيقة الإنسان، فإنه

٣٨- Bhagvat Gita, op.cit. Vol. ٨, p. ٣٢٢.

٣٩- Ibid, p. ٣٢٧.

٤٠- The Aitareya Aranyaka Upanishad, part-I, Sacred Books of the East, op.cit. Vol. ١, p. ٢٣٣.

٤١- Bhagvat Gita, op.cit. Vol. ٨, p. ٢٤٠.

يستطيع حينئذ الحصول على المكان المتعالي اللامحدود، والسعادة اللامحدودة^(٤٢). وتحقيق السعادة من أهم الأمور التي يسعى من أجلها الإنسان في حياته؛ ولذلك ورد في نص آخر في ساتهاباتها برهمانا كلام أهل الجنة وهم يقولون: "إننا قد صعدنا إلى عالم النور (عالم الجنات)، وصرنا أبديين؛ لأن الذي يجلس في مجلس تقديم القرابين فإنه يصير أبديا، وإننا قد بلغنا القبة الزرقاء، فالذي يشارك في مجلس تقديم القرابين فإنه يصعد إلى السماء، وقد حصلنا على عالم الآلهة"^(٤٣).

فالنص وصف عالم الجنة بأنه النور والآلهة والسعادة الأبدية. ولقد ورد نص آخر في امهروا فيدات يصف ذلك العالم بأنه عالم الخير والتقوى والصلاح. ولا بد من الصعود إلى عالم النور، وهي القبة الزرقاء المتعالية^(٤٤). ولذلك يجب على من يقدم القرابين أن يكون لديه أمل ويدعو بتضرّع؛ ليكون له مستقر طيب في عالم أخروي؛ إذ لا يستطيع أن يجد نصيبه الطيب في ذلك العالم إلا إذا قدم نصيب ياما الذي هو برهمان^(٤٥). وتتضح أهمية عملية تقديم القرابين في أن الكاهن الذي يساعد الإنسان في تقديم القرابين يكون مثل الرجل الذي يضع بذرته في رحم، ولذلك يجب تقديم الهدايا للكاهن المساعد؛ لأنه هو الذي يساعد الإنسان في الذهاب إلى عالم الجنة والآلهة^(٤٦). ومن هنا يجب على الذي يقدم القرابين أن يقدمها بأمل، ويدعو لكي ينال مستقره في عالم الجنة باعتقاد أن هذه القرابين تحدد له مصيره هناك واستقباله استقبالا حسنا^(٤٧).

ويقرر ساتهاباتها برهمانا أن الذي يقدم القرابين، فإنه سيولد بجسده الكامل في ذلك العالم^(٤٨). ولذلك صار التركيز على تقديم القرابين أكثر من أجل الحصول على السعادة والابتهاج في الجنة.

- الخلود في عالم الجنة:

يذكر لنا ساتهاباتها برهمانا أن الخلود المفقود في الدنيا موجود في عالم الجنات، والإنسان يسعى من أجل الحصول على هذا الخلود؛ لأنه لا يريد أن يتعرض للتناسخ مرارا وتكرارا خوفا من الآلام والمصائب التي يعاني منها الإنسان في حياته. فلذلك يجب عليه أن يدعو بهذا الدعاء: "إنني أعرفك يا أيها الخلود، إنه المكان الذي يمشي الآلهة فيه على السماوات، ومستقرهم في الجنات ومسكنها الطيبة"^(٤٩).

٤٢- Ibid, p. ٣٤٤.

٤٣- The Satha Patha Brahmana, op.cit. Vol. ٢٦, pp. ٤٤٩- ٤٥٠.

٤٤- The Aitareya Aranyaka Upanishad, part-I, op.cit. Vol. ١, p. ١٠٥.

٤٥- The Satha Patha Brahmana, op.cit. Vol. ٢٦, p. ٣٤٨.

٤٦- Ibid, part-I, Vol. ١٢, p. ١٥٧.

٤٧- Ibid, p. ٢٥٢.

٤٨- Ibid, p. ٤٢٤.

٤٩- Ibid, part- V, Vol. ٤٤, p. ٢١٢.

كما أن النصوص المقدسة تتحدث عن درجات مختلفة للجنة، فهناك الدرجة العليا والدرجة السفلى ثم الوسطى^(٥٠)، وقد تخصص هذه الدرجات حسب صلاح الإنسان وأعماله. في حين أن الأبايشادات تعتبر الجنة عالم الآباء الذين قد وجدوا طريقاً إليها بعد موتهم لكي يسكنوا مع الآلهة. وياما كان أول من شق هذا الطريق، وهو سيد الموتى. ثم الذين ماتوا ووصلوا إلى الجنة، فإنهم بحاجة إلى أقاربهم لكي يقوموا بالطقوس حتى يستفيد منها الموتى في عالم الجنة^(٥١). وهنا لابد وأن يكون في أذهاننا أن الجنة والنار في الهندوسية تعتبران كمطهر، يدخلها الإنسان لكي يتطهر من المادة الكارمية التي تولدت لديه، ويبقى هناك إلى أن تنفذ هذه المادة الكارمية، ثم يهبط إلى الأرض ويولد مرة أخرى، فلن يبقى الإنسان في هذه الجنات للأبد. كما أنها تعتقد بأن الإنسان سيقضي فترة معينة في الجنة والنار حتى يتطهر من المادة الكارمية، ثم يهبط إلى الأرض. وليست النار، أو الجنة - وفقاً لهذه الرؤية - إلا حلقة من حلقات التناسخ^(٥٢).

٢ - الجنة في العقيدة الإسلامية:

إن الهندوسية، مثل كثير من الأديان، تتفق مع الإسلام في إيمانها بوجود الجنة، وهي النعيم الذي يلاقه المؤمنون فيها، في مقابل النار التي أعدت للكافرين عقاباً لهم. والاطلاع على النصوص القرآنية، ثم الأحاديث النبوية تبين لنا عدة حقائق عن الجنة، وهي كما يلي:

١. ٢ : الجنة مخلوقة الآن وأعدّها الله للصالحين:

وذلك حسب ما ورد في القرآن الكريم، وكما هو غالب رأي المفسرين والأصوليين من المسلمين، يقول الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٥٣). "هنا - كما يقول بعض المفسرين - ندب الله سبحانه وتعالى إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمشاركة إلى نيل القربات، فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ إلخ﴾ أي كما أعدت النار للكافرين، والمراد بقوله: ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ التنبيه على اتساع طولها"^(٥٤).

٥٠- Bhagvat Gita, op.cit. Vol. ٨, p. ٢٤٠.

٥١- Linda M Tober, Heaven and Hell, *The Encyclopaedia of Religion*, op.cit. Vol. ٦, p. ٢٤٢.

٥٢- Ibid.

٥٣- سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

٥٤- ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٤٤.

فالمستفاد من هذه الآية وغيرها في القرآن الكريم أن الجنة مخلوقة ومعدّة للمؤمنين بالفعل حسب الآية، يقول الإمام الجويني في هذا: "الجنة والنار مخلوقتان؛ إذ لا يحيل العقل خلقهما، وقد شهدت بذلك آي من كتاب الله، منها قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٥٥). والإعداد يصرح بثبوت الشيء وتحققه. وتواترت الأخبار في قصة آدم عليه السلام عن الجنة وإدخال آدم إياها، ويُدور الزلة منه فيها، وإخراجه عنها، ووعدته الرد عليها. وكل ذلك ثابت قطعاً مُتَلَقَّى من فحوى الآيات المستفيض من نقل الأثبات والثقة" (٥٦).

والآية تدل على سعة الجنة، والمراد من أن عرضها كعرض السماء والأرض كناية عن السعة، إذ لو جعلت السماوات والأرضون طبقاتاً، بحيث تكون كل واحدة من تلك الطبقات سطحاً مؤلفاً من أجزاء، ثم وصل بعضها ببعض طبقاتاً واحداً لكان ذلك مثل عرض الجنة، وهذا غاية في السعة. ثم خص العرض بالذكر دون الطول لأنه إذا كان العرض على تلك السعة فالظاهر أن الطول يكون أعظم. ونظير هذا قوله تعالى: ﴿بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ (٥٧)، فإذا كانت البطائن من إستبرق، وهي عادة أقل من الظواهر، فكيف تكون الظواهر! قال القفال: ليس المراد بالعرض ههنا ما هو خلاف الطول، ولكن هو عبارة عن السعة؛ كما تقول العرب: بلاد عريضة أي واسعة وعظيمة. والأصل فيه أن ما اتسع عرضه لم يضق، وما ضاق عرضه ضاق. فجعل العرض كناية عن السعة، على حد قول العرب: أعرَضَ في المكارم، إذا توسع فيها. والمراد من السماوات؛ السماوات السبع والأرضون السبع. فعن ابن عباس من طريق السدي أنه قال: تقرن السماوات السبع والأرضون السبع، كما تقرن الثياب ببعضها ببعض، فذاك عرض الجنة. ولا يقال: أين هي؟ مادام عرضها السماوات والأرض، لأنه قد ورد في الخبر أنها فوق السماوات وتحت العرش، حين سئل أنس بن مالك عن مكانها (٥٨).

٥٥- سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

٥٦- إمام الحرمين، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف عبد الله الجويني، كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م، ص ١٥٠-١٥١.

٥٧- سورة الرحمن، الآية: ٥٤.

٥٨- أبو الفضل شهاب الدين السيد محمد الألويسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، إدارة الطباعة المنيرية، بدون الطبعة، ج ٤، ص ٥٦-٥٧.

وقد ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الجنة مخلوقة اعتماداً على دلالة الآية، حيث ورد فيها ﴿أُعِدَّتْ﴾ إخباراً عن الماضي، فلا بد أن يكون ذلك قد دخل في الشيء الموجود (٥٩).
ومن هنا استنبط شارح المواقف هذا المعنى مستدلاً على خلق الجنة بوجهين:
الأول: قصة آدم وحواء وإسكانها في الجنة، وإخراجها بالزلة على ما نطق به الكتاب.
الثاني: قوله تعالى في صفتها - أي الجنة -: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾. ويستدل بالسنة على خلقها الآن فيقول:
"ومن تتبع الأحاديث الصحيحة وجد فيها شيئاً كثيراً مما يدل على وجودها دلالة ظاهرة" (٦٠).

فقد خرج الإمام البخاري بسنده الأحاديث التي تفسر قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (٦١)، وهي تدل على أن الجنة مخلوقة ومعدة للمؤمنين الآن، فروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "يقول الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ذخرًا بَلَّه ما أطلعتم عليه". ثم قرأ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (٦٢).

ثم روى الإمام البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:
"تحتاج الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذاب أعدب بك من أشياء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار: فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط قط، فهناك تمتلئ، ويزوي بعضهم إلى بعض، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً. وأما الجنة: فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً" (٦٣).

٥٩- الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي، التفسير الكبير، إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، مكتبة حقاينة بشاور، باكستان، ج ٩، ص ٤.

٦٠- محمد علي الجرجاني، شرح المواقف، مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر، ج ٢، ص ٤٤٥، وانظر كذلك: الإمام الجويني، الاعتقاد، ص ١٥١.

٦١- سورة السجدة، الآية: ١٧.

٦٢- الإمام أبو عبد الله محمد بن إسحاق الجعفي البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ...﴾ رقم الحديث ٤٧٨٠، دارالسلام، الرياض، ١٩٩٩م، ص ٨٤٠.

٦٣- صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: "وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ" رقم الحديث ٤٨٥٠، ص ٨٥٨.

إذا نستدل بهذه الأحاديث والآيات القرآنية على أن الجنة مخلوقة ومعدة لأصحابها بالفعل، وهذا ظاهر في ما نطق به القرآن وتواترت به الأخبار.

٢.٢: عدد الجنات ودرجاتها:

بعد أن تقرر لدينا أن الجنة مخلوقة ومعدة الآن، مصداقاً لما ورد في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف، فإن المصادر الإسلامية تتحدث عن عدد الجنات ودرجاتها. فيذكر الزمخشري أن المراد بكلمة الجنة هو البستان، وجمعها الجنات، والجنة اسم لدار الخلد. وهي مشتملة على جنان كثيرة، مرتبة حسب استحقاق العاملين، لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان (٦٤).

وعدد الجنات التي يتمتع بها المؤمنون يوم القيامة أربع، وهذا العدد هو الذي ورد في القرآن الكريم، ونطقت به السنة، يقول الله عز وجل في سورة الرحمن: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ (٦٥). ثم عدد الله صفات هاتين الجنتين فذكر أنهما: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ (٦٦) ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ (٦٧) ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ (٦٨)، وذكر بعض حال المؤمنين فيها ﴿مُتَّكِعِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَحَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ (٦٩)، ثم ذكر ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتٌ الْظُرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ لِنِسِّ قِبَالِهِمْ وَلَا جَانٌ﴾ (٧٠). وبعد ذكر هاتين الجنتين وبيان بعض صفاتهما قال الله عز وجل: ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ (٧١)، فعدد أوصافها بقوله: ﴿مُدَّهَامَتَانِ﴾ (٧٢)، وقال: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ فَضَّاخَتَانِ﴾ (٧٣)، ثم قال: ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ (٧٤)، وقال: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ (٧٥)،

٦٤- الزمخشري، الكشاف، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بدون الطبعة والتاريخ، ج ٢، ص ٢٥٧.

٦٥- سورة الرحمن، الآية: ٤٦.

٦٦- سورة الرحمن، الآية: ٤٨.

٦٧- سورة الرحمن، الآية: ٥٠.

٦٨- سورة الرحمن، الآية: ٥٢.

٦٩- سورة الرحمن، الآية: ٥٤.

٧٠- سورة الرحمن، الآية: ٥٦.

٧١- سورة الرحمن، الآية: ٦٢.

٧٢- سورة الرحمن، الآية: ٦٤.

٧٣- سورة الرحمن، الآية: ٦٦.

٧٤- سورة الرحمن، الآية: ٨٦.

٧٥- سورة الرحمن، الآية: ٧٠.

﴿حُرِّمَتْ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (٧٦)، ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ قُلُوبَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ (٧٧)، وقال: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ (٧٨).

والجنتان الأوليان مختلفتان عن الآخرين، لأن الله عز وجل قال عن الأوليين: ﴿وَمِنْ ذُوَيْهَا﴾ و"دون" تستخدم في اللغة العربية نقيض "فوق"، وهو تقصير عن الغاية (٧٩).

وقد ذكر ابن قيم الجوزية أن الجنتين الأوليين يمتازان عن الآخرين بعشر صفات:

الأولى: أنه ذكر في الأوليين أنهما ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾.

الثانية: أنه ذكر في الأوليين قال: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ وفي الآخرين ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ فَضَّاحَتَانِ﴾ والنضاحة هي الفوارة، والجارية أفضل من النضاحة؛ لأنها تتضمن الفوران والجريان.

الثالثة: أنه وصف الأوليين بأن ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ زَوْجَانِ﴾، وقال في الآخرين: ﴿فِيهِمَا فَكِيهَةٌ وَمَخْلٌ وَرَمَانٌ﴾ فهنا فضل الأوليين أكمل.

الرابعة: أنه قال في الأوليين: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾، وهذا ينبه على فضل الظهائر وخطرها. وقال في الآخرين: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾، وفسر الرفرف بالمجالس والبسط، وعلى كل قول لم يصف الآخرين بها وصف فرش الأوليين.

الخامسة: أنه قال في الأوليين: ﴿وَحَتَّى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾؛ أي قريب وسهل يتناولونه كيف شاءوا. ولم يذكر ذلك في الآخرين.

السادسة: أنه قال في صفة نساء الأوليين ﴿فِيهِنَّ قَصْرَاتٌ أَلْوَانٌ﴾ أي قد قصرن طرفهن على أزواجهن، فلا يرون غيرهم؛ لرضاهن بهم ومحبتهم لهم. ويضمن ذلك قصر نظر أزواجهم عليهن، وقال في الآخرين: ﴿حُرِّمَتْ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾، ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها.

٧٦- سورة الرحمن، الآية: ٧٢.

٧٧- سورة الرحمن، الآية: ٧٤.

٧٨- سورة الرحمن، الآية: ٧٦.

٧٩- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطاء، ص ٢١٦.

السابعة: أنه في الأوليين وصف نساءهن بالياقوت والمرجان في صفاء اللون وإشراقه وحسنه، ولم يذكر ذلك في التي بعدها.

الثامنة: أنه قال سبحانه في الجنتين الأوليين: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾، وهذا يقتضي أن أصحابها من أهل الإحسان المطلق الكامل، فكان جزاؤهم بإحسان كامل.

التاسعة: أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين، وجعلها جزاء لمن خاف مقام ربه، وهذا يدل على أنها أعلى مراتب الجزاء المذكور على الخوف، كترتيب المسبب على سببه. ولما كان الخائفون على نوعين مقرّبين وأصحاب يمين، ذكر جنتي المقرّبين، ثم بعد ذلك جنتي أصحاب اليمين.

العاشر: أنه قال عن الأوليين: ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ والسياق يدل على أنه نقيض "فوق". فإن قيل: كيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه؟ قيل: لما كان الخائفون نوعين - كما ذكرنا - كان للمقرّبين منهم الجنتان العاليتان ولأصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما^(٨٠).

وقد أيدت السنة أيضاً هذا العدد، وأن عدد الجنات أربع فقط؛ لما رواه البخاري عن ابن قيس عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن"^(٨١).

فهذا يدل على أن عدد الجنات أربع، أما ما جاء عن أسماء الجنات في القرآن الكريم مثل: جنة المأوى، نزلاً، وجنت النعيم، وجنت عدن، ودار السلام، وغيرها، فهي أسماء باعتبار صفاتها، ومسماها واحد^(٨٢).

ويقول القرطبي نقلاً عن الحلبي: "إنما منعنا أن نجعل كل واحدة من العدن والمأوى والنعيم جنة سوى الأخرى؛ لأن الله تعالى إن كان سمي شيئاً من هذه الأسماء جنة في موضع، فقد سمي الجنات كلها بذلك الاسم في موضع آخر، فعلمنا أن هذه الأسماء ليست لتمييز جنة عن جنة، ولكنها للجنان أجمع، وقد أتى الله بذكر العدد فلم يثبت إلا أربعاً"^(٨٣).

٨٠- أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م، ص ٧٧-٧٨.

٨١- البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ رقم الحديث ٤٨٧٨، ص ٨٦٤.

٨٢- ابن قيم الجوزية، حادي الأرواح، ص ٧١.

٨٣- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى والأخرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، بدون الطبعة والتاريخ، ج ٢، ص ٩٧.

فهكذا ثبت لدينا في ضوء القرآن والسنة عدد الجنات، وهي أربع، كما عرفنا النعم الموجودة فيها.

٣.٢ : درجات الجنة:

والمراد بالدرجات هنا المنازل أو الطبقات التي يُنزلها الله المؤمنين في الجنة، وذلك حسب تفاوت طبقات المؤمنين في إيمانهم وعملهم الصالح. ولقد بين القرآن الكريم منازل الناس عند الله عز وجل، ودرجاتهم بالإضافة إلى منازلهم في الآخرة، فقال الله عز وجل: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخَسِيئَةَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٨٥﴾.

ويرى الألوسي أن تلك الدرجات مقصود بها منازل الآخرة، ودرجات الجنة (٨٦). وقد جاءت السنة المطهرة لتؤيد هذه الحقيقة، فورد في صحيح البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة، وفيها تفجر الأنهار الأربعة، ومن فوقها يكون عرش الرحمن، فإذا سألتهم الله فاسأله الفردوس" (٨٧).

فثبت لدينا أن هناك درجات للجنة، ويدخلها المؤمنون حسب أعمالهم وإيمانهم المتفاوت فيما بينهم.

٤.٢ : نعيم الجنة:

لقد جاء القرآن الكريم يبين لنا نعيم أهل الجنة المقيم، وقد أيدته سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث تذكر الأنهار الجارية في الجنة، والأزواج المطهرة ورضوان الله الذي يحمله على المؤمنين والمؤمنات، وذلك مصداقاً لما ورد في القرآن الكريم: ﴿قُلْ أُوذِيْتُكُمْ بَخَيْرٍ مِنْ دَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ

٨٤- سورة النساء، الآيات: ٩٥-٩٦.

٨٥- سورة الأنفال، الآيات: ٢-٤.

٨٦- الألوسي، روح المعاني، ج ٩، ص ١٦٨.

٨٧- البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب درجات المجاهدين، رقم الحديث ٣٧٩، ص ٢٢٥.

جَنَّتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ مِنْ رَبِّ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٨٨﴾.

والمراد بذلك أن الله سبحانه وتعالى يخبر عباده أن عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار، أي من أنواع الأشربة من العسل واللبن والخمر والماء وغير ذلك؛ مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. والعنودية في الآية مفيدة لكمال علو رتبة الجنات وسمو طبقتها، ماكتين فيها أبد الآباد. ولهم فيها أزواج مطهرة؛ أي من الأرجاس والأدناس البدنية والطبيعية، مما لا يخلو عنه نساء الدنيا غالباً. بالإضافة إلى ذلك رضوان الله، وهي لذة روحانية تمثل تتممة لما حصل لهم من اللذات الجسمانية.

وتذكر لنا السنة النبوية نعيم أهل الجنة من الطعام والشراب فيما رواه مسلم بسنده عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتغطون، ولا يتمخطون، ولا يبولون، ولكن طعامهم ذلك جُشَاءٌ كرشح المسك؛ يلهمون التسييح والحمد كما تلهمون النَّفْسِ" (٨٩).

أما شراب أهل الجنة، فإن القرآن الكريم يذكر أصنافاً شتى من الشراب لأهل الجنة، فهم يشربون كما ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَمُهُ مِسْكٌَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِمَّا جَاهُ مِنْ شَنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٩٠﴾.

وهناك خمر طيب في أنهار ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٩١﴾.

أما مساكن أهل الجنة، فقد ذكر القرآن الكريم عن مساكن الجنة الطيبة فقال تعالى:

﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩٢﴾.

ولقد وصف الرسول صلى الله عليه وسلم هذه المساكن الطيبة فيما رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن للمؤمنين في الجنة لحيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، طولها ستون ميلاً، للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً" (٩٣).

٨٨- سورة آل عمران، الآية: ١٥.

٨٩- الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار السلام، الرياض، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، كتاب الجنة، باب في صفات الجنة، رقم الحديث ٧١٥٢، ص ١١٧١.

٩٠- سورة المطففين، الآيات: ٢٥-٢٨.

٩١- سورة محمد، الآية: ١٥.

٩٢- سورة الصف، الآية: ١٢.

٩٣- مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم الحديث ٧١٥٨، ص ١٢٣٣.

وعن زوجات أهل الجنة ذكر الله عز وجل أن للمؤمنين أزواجا مطهرة من الحيض والاستحاضة وجميع الأقدار؛ حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوبٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَدِّمِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٩٤﴾. وقال عز وجل: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ (٩٥).

وعن صفة حور العين ورد قول الرسول صلى الله عليه وسلم فيها رواه مسلم عن أبي هريرة: "إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضواء كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب" (٩٦). ثم ورد في صفة ثياب أهل الجنة ما رواه الترمذي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أهل الجنة جرد مرد كحل، لا يفنى شبابهم، ولا تبلى ثيابهم" (٩٧).

أما ثمار أهل الجنة، فقد ورد فيها قول الله عز وجل بصدد حديثه عنهم: ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ (٩٨) وأخرج الترمذي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، قالت: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر سدرة المنتهى قال: "يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة، أو يستظل بظلها مائة ركب - شك يحيى - فيها فراش الذهب، كأن ثمرها القلال" (٩٩).

وهناك نعم أخرى كثيرة ورد في القرآن والسنة ذكر بعضها، ولا يمكن أن أتناول جميع هذه النعم في هذه العجالة، إنما قمت بذكر بعضها على سبيل المثال فقط، إلا أن هناك نعمة أخرى لا بد من الإشارة إليها، وهي من أعظم ألوان النعيم التي يمن الله بها على عباده المؤمنين في الجنة، وهي:

٩٤- سورة الدخان، الآيات: ٥١-٥٤.

٩٥- سورة الرحمن، الآية: ٧٢.

٩٦- مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة، وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، وصفاتهم وأزواجهم، رقم الحديث ٧١٤٧، رقم الصفحة ١٢٣١.

٩٧- الإمام الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، جامع الترمذي، كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة، رقم الحديث ٢١٣٩، إشراف ومراجعة: صالح بن عبد العزيز، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١٩٩٩م، ص ٥٧٦.

٩٨- سورة البقرة، الآية: ٢٥.

٩٩- الترمذي، جامع الترمذي، أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة ثمار أهل الجنة، رقم الحديث ٢٥٤١، ص ٥٧٧.

٥.٢ : رؤية الله في الجنة:

يعني أن المؤمنين بوجوههم الحسنة الجميلة من النعيم يرون ربهم، يرون جمال ذاته العلية، ونور وجهه الكريم، كما وردت بذلك الآيات والآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿١٠٠﴾﴾. وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴿١٠١﴾﴾. فيقول صاحب الإبانة عن أصول الديانة: "الزيادة: النظر إلى الله عز وجل، ولم ينعم الله عز وجل على أهل جناته بأفضل من نظرهم إليه ورؤيتهم له. وقال عز وجل: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾. وقيل: النظر إلى الله عز وجل، قال: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴿١٠٣﴾﴾ فإذا لقيه المؤمنون رأوه" (١٠٤).

ويقول ابن حزم: "رؤية الله عز وجل يوم القيامة كرامة للمؤمنين، لا حرمانا الله ذلك بفضل" (١٠٥). وقد ذكر الإمام ابن قيم الجوزية في كتابه حادي الأرواح إجماع الأمة على رؤية المؤمنين الله تعالى في الجنة، فقال: "اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام على تتابع القرون" (١٠٦).

ومما يستدل به على وقوع الرؤية في الآخرة ما ذهب إليه شارح النسفية في العقيدة الإسلامية حيث يقول: "ورؤية الله جائزة في العقل، وواجبة في النقل، وقد ورد الدليل السمعي بإيجاب رؤية المؤمنين لله تعالى في دار الآخرة. فيرى لا في مكان ولا على جهة من مقابلة أو اتصال شعاع أو ثبوت مسافة بين الرائي وبين الله تعالى" (١٠٧).

ولقد تواترت السنة على رؤية الله سبحانه وتعالى في الجنة؛ منها ما ورد في صحيح مسلم بسنده

-
- ١٠٠ - سورة القيامة، الآية: ٢٦.
- ١٠١ - سورة يونس، الآية: ٢٦.
- ١٠٢ - سورة ق، الآية: ٣٥.
- ١٠٣ - سورة الأحزاب، الآية: ٤٤.
- ١٠٤ - الإمام أبو الحسن علي بن إساعيل الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، تقديم حماد بن محمد الأنصاري، ١٤١١ هـ ص ١٩٠.
- ١٠٥ - الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل، مكتبة السلام العالمية، بدون الطبعة، ج ٣، ص ٣.
- ١٠٦ - ابن قيم الجوزية، حادي الأرواح، ص ١٩٦.
- ١٠٧ - عبد الملك عبد الرحمن السعيري، شرح النسفية في العقيدة الإسلامية، دار مكتبة الأنبار، الرمادي، العراق، ط ١، ١٩٨٨ م، ص ٩٥.

عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "جتان من فضة آتيتها وما فيها، وجتان من ذهب آتيتها وما فيها، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن" (١٠٨).

وروى حديثاً آخر عن صهيب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل" (١٠٩).
وروى الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري أنه قال: قلنا: يا رسول الله، أترى ربنا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هل تضارون في رؤية الشمس إذا كان يوم صحو؟ قلنا: لا..." (١١٠).
إذا ثبت لدينا أن رؤية المؤمنين لله عز وجل لون من ألوان النعيم الذي يتمتع به المتقون يوم القيامة في الجنة.

التعقيب:

بعد استعراض صفة الجنة ونعيمها في الهندوسية والإسلام تبين لنا ما يلي:

أولاً: أن الديانة الهندوسية تؤمن بوجود الجنة، وأنها أعدت للصالحين الذين يقومون بواجباتهم الدينية طبقاً للقواعد والضوابط المستمدة من النصوص الدينية المقدسة لديهم. ولذلك توصي الديانة الهندوسية بالالتزام بالحق.

ثانياً: تتفق الديانة الهندوسية مع الإسلام في بيان بعض النعم الحسية لأتباعها الذين يتمتعون بها هناك، نتيجة لأعمالهم الصالحة، مثل وجود الحور (الغانيات) والتحلي بالزينة، والأنهار الجارية، والمسكن الطيبة، وأعمدة مصنوعة من الماس، كما أن الإسلام يتحدث عن الأزواج المطهرة، والمسكن الفسيحة الطيبة وثياب أهل الجنة، ثم رؤية الله.

ثالثاً: تتفق الهندوسية مع الإسلام في أن النعم والثمرات التي يتمتع بها الصالحون في الجنة شبه التي كانوا يتناولونها في الدنيا، إلا أن نوعية هذه النعم تكون أحسن بكثير.

١٠٨ - الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، رقم الحديث ٤٤٨٠، رقم الصفحة ٩٢٠.

١٠٩ - المصدر السابق، رقم الحديث ٤٤٩، ص ٩٢.

١١٠ - المصدر السابق، رقم الحديث ٤٥٥، ص ٩٦٠.

رابعاً: كما أن الهندوسية توافق الإسلام في إيمانها بالنعم غير الحسية الموجودة في الجنة، مثل أنه لا خوف ولا حزن هناك، ثم السعادة والسعادة اللامحدودة للصالحين، وصحبة الأتقياء والصالحين، والتمتع بعالم النور هناك.

خامساً: إلا أنها تخالف الإسلام في إيمانها بأن الإنسان يستحق بحقيقته البقاء مع الإله في الجنة، وهي من أعظم ألوان النعم في الهندوسية، وهو تحقيق وحدة الوجود. في حين يرى الإسلام أن من أعظم النعم التي يتمتع بها الإنسان في الجنة هي رؤية الله سبحانه وتعالى في الجنة لا الاتحاد معه؛ لأنه غير ممكن أصلاً.

سادساً: كما أن الهندوسية لا تؤمن بخلود أهل الجنة في الجنة، وتخالف الإسلام في هذا الصدد، وإنما تعتبر الجنة بمثابة المطهر، حيث يبقى الإنسان فيها فترة لتنفد مادته الكارمية، ثم يعود إلى الأرض لكي يعيش مرة أخرى ويصل إلى هدفه النهائي، ألا وهو الخلاص (موكشا). في حين يؤمن ساتهاياتها برهمانا بالخلود في الجنة، خلافاً لما ورد في الأبانيشادات. وكون ساتهاياتها برهمانا أقدم النصوص، والأبانيشادات لاحقة له زمنًا، يدفعنا إلى أن نقول: إن فكرة الخلود في الهندوسية قد خضعت للتطور، حيث كانت الهندوسية تعتقد في البداية أن الصالحين يتمتعون بالخلود في الجنة، ثم في الأبانيشادات تغلبت فكرة التناسخ على الخلود. وساتهاياتها برهمانا أقدم النصوص الهندوسية، في حين أن الأبانيشادات تطورت فيما بعد. والله أعلم.

سابعاً: إذا كان الإسلام يؤمن بأن عدد الجنات أربع، فإن الهندوسية قسمت جناتها إلى قسمين: الجنات الكارمية التي يدخلها الإنسان لفترة معينة، وجنات العبودية التي يدخلها الإنسان لكي يندمج في الحقيقة المطلقة.

ثامناً: في حين يتحدث الإسلام عن درجات الجنة، فإن الهندوسية تجعل للجنة طبقات ثلاثاً، وهي متفاوتة في النعم حسب الأعمال.

تاسعاً: تتفق الديانة الهندوسية مع الإسلام في بيان أن الجنة في السماوات، أي في الطبقة العليا من هذا الكون، ولذلك سميت في الهندوسية بالقبة الزرقاء.

عاشراً: كما أنها تتفق مع الإسلام في أن الحياة في الجنة حياة طيبة مباركة وطاهرة من الشيوخوخة والأمراض والهرم والضعف، وإنما هو مكان تتم فيه الرغبات الإنسانية. ولذلك توصي أتباعها بالالتزام بالحق، والاهتمام بالصلوات من أجل الظفر بالجنة في الحياة الآخروية.

حادي عشر: هناك اتفاق آخر لعله أبرز في الإسلام، وهو ربط الاعتقادات الخاصة بالجنة بواقع الحياة، وذلك بجعل درجات الجنة موصولة مباشرة باستقامة الاعتقاد وحسن الأخلاق والمحافظة على الشعائر الدينية شكلاً ومضموناً.

٣- النار بين الهندوسية والإسلام:

إن النار أو جهنم هي الجزء الذي أُعد للعصاة حسب ما ورد في الكتب الدينية المقدسة؛ فمثلاً نجد القوانين المقدسة للأريان يقول في هذا الصدد: "إن الهندوسي إذا خالف القوانين الشرعية أو القواعد والضوابط الخاصة بقراءة الفيدات، فإنه لن يتمتع بالآثار أو الجزء الذي يترتب على القراءة الصحيحة في الدنيا، فتصير حياته قصيرة، بالإضافة إلى دخوله جهنم" (١١١).

إذاً نعرف من هذا النص أنه إذا كانت هناك آثار إيجابية تترتب على العمل الصالح للإنسان في الدنيا، فإن هناك آثاراً سلبية تترتب على عمله المخالف للنصوص الشرعية في الدنيا والآخرة كذلك، وفي الآخرة يستحق دخول النار. والنار أو جهنم تسمى عندهم ب: ناراكا (Naraka)، وهو مكان التعذيب. وفي الأساطير الدينية تمثل ناراكا الإله بهذا الاسم، ويعتبر هذا الإله ابن نيرتي (Nirriti) (١١٢).

٣.١: أسماء ناراكا (دركات جهنم) وعددها:

تفيد النصوص المقدسة أن هناك نيران مختلفة أو طبقات مختلفة لناراكا، وكل نار أو جهنم أو طبقة لها اسمها الخاص بها، وهذا الاسم يحمل دلالة واضحة على نوع العذاب فيها. وقد ورد في جارودا فورانا (Garuda Purana) أن هناك أربعة وثمانين مليون جهنم (٨٤،٠٠٠،٠٠٠) ولكن ورد أسماء بعضها فقط في الكتب الدينية (١١٣).

وهنا أورد أسماء بعض هذه الدركات - على سبيل المثال لا الحصر - وهي كالتالي:

تامسارا (Tamisara) جهنم الظلام. اندهاتامسارا (Andha Tamisara) جهنم الظلام العميق.
روروا (Raurva) جهنم الولولة. مهاروروا (Maharaurva) جهنم الولولة العظيمة. كالاسوترا (Kalasutra) خيوط الموت أو وقت الموت. مهاناراكا (Maha Naraka) جهنم النار العظيمة. سانجي وانا (Sangivana) جهنم العودة إلى الحياة. أويكي (Aviki) جهنم الساكنة غير الهائجة. تانا (Tapana) النار المحرقة.

١١١- The Sacred Laws of Aryas, part-I, op.cit. Vol. ٢, p. ١٩.

١١٢- Stutley, James and Margaret, A Dictionary of Hinduism, Routledge and Kegan Paul, London, ١٩٧٧, p. ٢٠٥.

١١٣- Ghosh, Shayam, Hindu Concept of Life and Death, Munshiram Manoharlal Publishers, New Dehli, ١٩٨١, p. ٢٠٢.

سامبراتبانا (Sampratapana) نار الجفاف وزيادة العطش. سامغاتاكا (Samghataka) جهنم الضغط. كاكولا (Kakola) جهنم الضارة. كُدمالا (Kudmala) جهنم ذات البراعم. بتي مري تيكّا (Putimritika) نار صلصال الطين أو التتن. لوها سانكو (Lohasanku) جهنم المسامير الحديدية. ركيشا (Rakisha) جهنم النار المغلية. ويشامابنتهانا (Vishamapanthana) جهنم الطرق غير المتساوية. كانتا كاسال مالي (Kantakasalmali) الأشجار الشائكة أو ذات الأشواك. ديباندي (Dipanadi) بحر النار. اسي بتراوانا (Asipattravana) غابة الأشجار الشائكة وأوراقها ذات السيوف الحادة. لوهاكاراكا (Lohakaraka) القيود الحديدية أو السلاسل الحديدية النارية^(١١٤).

لقد وردت هذه الأسماء في نصوص هندوسية مختلفة، وتبين لنا هذه النصوص مستحقي كل نوع من هذه النار، وهم الذين ارتكبوا السيئات فاستحقوا دخولها؛ فمثلاً إذا شرب شودرا (Sudra) الشراب المقدس بنكاجاوايا (Pankagavaya)، أو شرب برهمن الشراب الروحاني فكلاهما يذهبان إلى جهنم مهاروروا (Maharaurva)^(١١٥) والماكرون والذين تعودوا خداع الآخرين، فإنهم يهبطون ناراً تسمى اندهاتامسرا (Andhatamisra)، وهي جهنم الظلام العميق^(١١٦).

والإنسان الذي يكسب السيئات، ولا يهتم بالعمل الصالح، فإنه سيدخل جهنم الظلام العميق، وهي اندهاتامسرا (Andhatamisra)^(١١٧)، والبراهمن الذي يتمثل بأخلاق مالك الحزين (Crane) أو يكون ماکرا مثل القط (Cat)، ويخدع الآخرين باسم الدين، فإنه سيقع في نار تسمى اندهاتامسرا (Andhatamisra)^(١١٨).

وقد ورد ذكر بعض دركات النار في قوانين ومبادئ وشنو، وهي إحدى وعشرون، وقبلها أفاد النص أن الملك الجشع البخيل الذي يخالف القوانين المقدسة، فإنه سيمر بهذه النيران بالتوالي^(١١٩). وكذلك فإن البراهمن الذي يدرس ويعلم القانون المقدس لشودرا ويعلمه كيفية التكفير عن الذنوب، فإنه سيغطس مع هذا الرجل في نار مخيفة تسمى آسماوريتا (Asmavrita)^(١٢٠).

١١٤- The Institutes of Vishnu, op.cit. Vol.٧, pp. ١٤٠-١٤١.
 ١١٥- The Sacred Laws of Aryas, part-I, op.cit. Vol. ٢, p. ١٧٥.
 ١١٦- Ibid, p. ٢٧٥.
 ١١٧- The Laws of Manu, op.cit. Vol. ٢٥, p. ٢٧٠.
 ١١٨- Ibid, p. ٣٠٩.
 ١١٩- Ibid, p. ١٤٣.
 ١٢٠- Ibid, p. ٩٥.

ويرى مبادئ وشنو أن الابن البكر يحفظ أباه من نار اسمها بُت (Put)، والابن البكر بُتر (Putter) يحفظ أباه من النار المسماة بُت (١٢١).

وهناك نيران أخرى وردت أسماؤها في فورانا، وينحصر عددها في ثلاث وستين نيرانا، ونجد أسماءها في برهمافورانا، وشنوفورانا، سكوندا فورانا (Skanda Purana)، بدما فورانا (Padma) وجارودا فورانا (Garuda Purana)، وهي كما يلي:

تبتا كمبها (Tapta Kumbha) الحديد المغلي، تيلاباكا (Taila Paka) الزيت المغلي، جوداباكا (Guda Paka) دبس العسكر المغلي، روروا (Raurva) المخيف، مهاروروا (Maharaurva) المخيف والرهيب، مهاويصي (Mahavici) النور الذي لا يستطيع الإنسان أن يفتح عينيه فيه، ابراتستها (Apratistha) المكان أو جهنم يعلق فيها الناس، وائل باكا (Vile Paka) الألواح الجصية المغلية المحرقة، مانجوشا (Manjusha) تابوت الحجر، جياتتي (Jayanti) جهنم الميسم، سال مالي (Salmali) جهنم الصديد والدم، مهاماتامسارا (Mahamatamisara) جهنم الظلام العميق جداً، تامسارا (Tamisara) زنزاة السجن المظلمة، اسي باتروانا (Asipatravana) غابة الأشواك القاطعة مثل السيوف، كارامبها بلوكا (Karambha Baluka) المستنقع الناري، كاكولا (Kakola) حفرة الحيات والأفاعي، كاددمالا (Kaddmala) الكماشة الشائبة، مهاهيبها (Maha Bhima) الضجة التي تصيب بالصمم، مهاواتا (Mahavata) الكهف الأعمى أي لا طريق له للخروج، واجراكباتا (Vajra Kapata) الأبواب الحديدية، نيروك واسا (Niruccvasa) كهف بدون هواء لا يمكن التنفس فيه، انجاروباسايا (Angaropacya) القار المحرق، مهاپايي (Mahapayi) ماء لا يسبر غوره، مهاجيوا (Maha Jivala) بحر النار، كاراكاكا (Koracaca) المنشرة، كسورادهارا (Kasuradhara) المحلاق الحاد، امباريسا (Ambarisa) الزيت المغلي، واجركتهارا (Vajra Kathara) الفأس الثقيل، باري تابا (Pari Tapa) جهنم الحشرات والندم والأسف، كالا سوترا (Kala Sutra) عيون الفولاذ، كاسمالا (Kasmala) مخاطية وبراز الجسم مثل البول والعرق وغيرها، او جرا جاندها (Ugragandha) الرائحة الكريهة التنتنة، دودهارا (Durdhara) الآلام المبرحة، ولدغ العقارب، واج رام مهاپي دا (Vajramahapida) القيود الحديدية، سكارا موخا (Sukaramukha) زريبة الخنازير، اندها كوبا (Andha Kupa) البئر المظلمة، كرمي بهوجا (Krmibhoja) جهنم الحشرات، ساندانسا (Sandanca) المنشرة والملقطة، واجرا كانتا سالي (Vajra Kanta)

١٢١- Institutes of Vishnu, op.cit. Vol.٧, p.٦٥, and see also: *Hand Book on the History of Religions*, Ed. Marris Jastrow, translated by Edward Wash Burn Hopkins, Ginn & Company, New York, ١٨٩٥, Vol. ١, p. ٣٦٣.

(Sali) (١٢٢)، تبتا سورمي (Tapta Surmi) العمود الحار، ويتراي (Vaitarani) البحر الذي لا يمكن عبوره، بيودا (Puyoda) يقدم القبح كالطعام أو يوضع في القبح، برانا رودا (Pranrodha) جهنم الاختناق، ويساسانا (Vaisasna) جهنم تبت الأعضاء الإنسانية، لالاباكشا (Lalabhaksha) البرازات، سوابهوجانا أو سارامي ياداونا (Sarameyadan) الكلاب المفترسة، اويج (Avich) جهنم العجز والضعف، آياهبانا (Ayahapana) جهنم يبلغ فيها الإنسان الحديد المصهور، كارا كارداما (Karakardama) جهنم يأكل فيها الإنسان قذارة الأسماك والأفاعي، راكسوكتاب هوجانا (Raksoganab hojana) جهنم تأكل أهلها الشياطين، سلاب روتا (Sularota) الأوتاد الطويلة، دانداسكوا (Danda Suka) حفرة الحيات المؤذية، بهاراما (Bharama) العجلة المتحركة دائما، رودرا (Roudra) أشعة الشمس المحرقة، وي موهانا (Vimohana) جهنم المشوشة، رودهي رامبا (Rodhi Ramba) جهنم المياه الدموية، غورا (Ghora) جهنم ذات الضجة العالية، تالا (Tala) جهنم الأغلاق، اواتاني رودا (Avatanirodha) جهنم الدفن، بريواراتانا (Paryavartana) جهنم التيه، سوسي موخا (Sucimukha) (١٢٣) جهنم تُقب الإبرة.

بالإضافة إلى نار ياما التي ورد ذكرها في المبحث الخاص بالموت، فهي إحدى النيران، كما ذكر جارودا فورانا (Garuda Puran) أنها عالم أو مقر أو منطقة تشتمل على جانين، الجانب الذي يتألم فيه الإنسان وهو جهنم، وتشتمل على ألوان شتى من التعذيب، وبها أماكن باردة يتعذب فيها الناس بالبرودة، وهناك أماكن حارة جداً يتألم فيها العصاة... ولن يجد الإنسان ما يشبعه هناك ولا يرويه، وأشعة الشمس تحرق جلود الناس، كما أن الحيات والعقارب والأفاعي الموجودة هناك تلدغهم، ويطر حون في النيران التي تقع على طريق عالم ياما. وهناك أنواع أخرى لهذا العذاب. إذاً هناك جهنم أو طبقات تقع في عالم أو منطقة ياما كذلك (١٢٤).

٢.٣: أصناف الذنوب وأنواع النيران الخاصة بها:

يدل الاطلاع على النصوص المقدسة على أن كل قسم أو درجة من النار تخص نوعا من الذنب، فمثلا ما ورد في وشنوفورانا: "إن الكاذب يدخل النار المسماة روروا (Raurva)، والذي قتل البرهمن أو البقرة المقدسة فإنه يستحق عقاب رودها (Rodha) (جهنم المعيقة)، وشارب الخمر يهبط إلى جهنم الخنازير. أما الذي يبيع ويشترى الفرس فإنه يغطس في تبتا لوها (Tapta Loha) جهنم الحديد المغلي. أما

١٢٢- The Garuda Purana, Compiled by B K Chaturvedi, Diamond Pocket Books, New Dehli, ٢٠٠٥, p.٢٥.
١٢٣- Shyam Ghosh, Hindu Concept of Life and Death, op.cit. p. ٢٠٣.
١٢٤- Garuda Purana, op.cit. p.٢٥.

الإنسان القدر التافه الخسيس الذي يأكل من التقدمة قبل أن يقدمها للآلهة أو الآباء فإنه يدخل جهنم لالا بهاكشا (Lalabhaksha)، وهي جهنم البراز الإنساني. والذي يربي القطن والشيء والغنم والكلاب وغيرها من الحيوانات المذكورة في النصوص فإنه يهبط إلى بياواها (Piyavaha) وهي جهنم التي يحرق فيها في المادة المغلية. والذي يقطع الشجرة فإنه يبتلى بعذاب النار التي تُدعى اسي بتروانا (Asipatravana)، وهي جهنم الأشجار ذات الأوراق الشائكة. أما الذين لا يهتمون بتعليم أطفالهم من الناحية الدينية فإنهم يدخلون جهنم ساووهوجانا (Savobhojana) حيث يأكلون لحم الكلاب (١٢٥).

ونجد في هذا النص أسماء أقسام أخرى من النار لم يرد ذكرها من قبل، كما أننا نلاحظ أن هناك نارا خاصة بنوع خاص من الذنب، ولكن إذا قام الإنسان بتقديم الكفارة، فإنه لا يستحق هذا العذاب حسب وشنوفورانا. ثم نجد نصوصا أخرى وردت في مبادئ وشنو تبين لنا أصناف العذاب الذي يبتلى به المذنبون، فمثلا نجد:

أن المذنبين لا بد وأن يعانون من ألوان شتى من العذاب بعد الموت عندما يدخلون طريق ياما، ويمرون به في نيران مختلفة.

إن قاصدي ياما يجبرونهم هنا وهناك على طرق غير سوية، ويرهبونهم بإيذاءات مخيفة، ثم يرمونهم في جهنم (١٢٦).

تفترسهم الكلاب في جهنم وأبناء آوى والغربان والبلشون والكوركي والحيوانات المفترسة العديدة، كما أن الحيات والأفاعي تلدغهم، فيحدثون ضجة عظيمة ويصرخون هناك (١٢٧).

إن النار العظيمة تحرق جلودهم هناك، وتقطعهم الأشواك الحادة، ويعذبهم الجوع والعطش (١٢٨). تجري وراءهم مجموعة من الأسود وتهاجمهم، فيقعون مغشيا عليهم من الجوع والخوف والحزن والألم، ولا يقدم لهم إلا الدم والصديد ليشربوه، فلا يقدرّون على شربه (١٢٩).

يستقبلهم قاصدو ياما في شكل مخيف، وتكون وجوههم مثل الحيوانات المفترسة، فهم يرمون في الزيت المغلي، ويضربون ضربا عنيفا بسياط حديدية نارية، ويطحنون في وعاء حجري (١٣٠).

-
- ١٢٥- The Vishnu Purana, Compilation Dr. Murdoch, The Christian Literature Society, London, ١٩٠٦, p. ١٨.
١٢٦- The Institutes of Vishnu, op.cit. Vol. ٧, p. ١٤٢.
١٢٧- Ibid.
١٢٨- Ibid.
١٢٩- Ibid.
١٣٠- Ibid, p. ١٤٣.

يقدم لهم في مكان الدم والصدید، وفضلات الإنسان مثل البول والعرق، وفي مكان آخر يجدون اللحم البشع ذا الرائحة النتنة، وله رائحة مثل الصدید(١٣١).

ثم يجدون أنفسهم في ظلام عميق فجأة، وتلتهمهم الحشرات والحيوانات، ويكون اللهب في فمهم(١٣٢). ومن هنا ينقلون إلى جهنم الباردة حيث يعذبون بالبرد الشديد ويمرون بالبرازات الإنسانية، ويجدون الأرواح الخبيثة التي تهاجمهم وتحاول أن تأكلهم(١٣٣). وفي مكان آخر يضربون بأعمالهم السيئة التي ارتكبوها في الحياة السابقة، وهناك يعلقون ويقطعون فوق الأشجار والسيوف والمناشير(١٣٤).

وفي مكان آخر يمشون على أشواك مثل السيوف، وتحيط بهم الحيات والعقارب، ويطحنون في المطاحن، ويجرون على ركبتيهم(١٣٥). تكسر أكتافهم وصدورهم بهذا الطحن ورؤوسهم كذلك، ولا يقدر الإنسان على تحمل هذا الأذى فيصرخ ويولول آنذاك.

وبعد أن ينالوا أنواعا من العذاب حسب ذنوبهم، فإن الإنسان سيتعرض للتناسخ، أي يولد فوق الأرض مرة أخرى، إلى أن ينال الخلاص(١٣٦).

والاطلاع على منوسمري يؤكد حقيقة أخرى، وهي أن الإنسان أحيانا بسبب أعماله السيئة يستحق الانتقال من نار إلى أخرى، حيث يعاني الأنواع المختلفة من العذاب، وقد ورد في النص الهندوسي قولهم: "إن الإنسان عندما يصر على ارتكاب السيئات، فإنه يستحق الانتقال من جهنم قاتلة معذبة إلى جهنم أخرى وهي تشتمل على غابات ذات أشجار شائكة تقطع جسد الإنسان وتشوّهه. وهناك أنواع أخرى للتعذيب وإلحاق الأذى به حيث يجد الغربان السود الوحشية الضارية والبومات المفترسة تهاجمه، كما أنه يوضع في مرطبان يغلي فيه الماء، فلا يطيق الإنسان الصبر على تحمل هذا الأذى، فيصرخ ويكي هناك"(١٣٧).

وهناك نص آخر يؤكد نفس الحقيقة، أي مرور الإنسان أو انتقاله من جهنم إلى جهنم أخرى حسب أعماله السيئة، فورد في كتاب القوانين المقدسة: "إن الذي يقبل الهدايا من ملك جبان يخالف القواعد والضوابط الشرعية الموجودة في جميع الكتب المقدسة، فإنه سيستحق الانتقال من جهنم إلى جهنم أخرى مذكورة في النصوص المقدسة"(١٣٨).

١٣١- Ibid.
١٣٢- Ibid.
١٣٣- Ibid.
١٣٤- Ibid.
١٣٥- Ibid.
١٣٦- Ibid, p. ١٤٤.
١٣٧- *The Laws of Manu*, op.cit. Vol. ٢٥, p. ٥٠٠.
١٣٨- *Minor Laws Books*, op.cit. Vol. ٣٢, p. ٢٢٠.

لقد وردت نصوص عديدة في الكتب الهندوسية المقدسة تذكر النار باسم آخر، ألا وهو "مكان التعذيب"، وقيل عنها إنها مكان التعذيب، ويقصد بهذا الاسم جهنم. فمثلا: "إن أماكن التعذيب تنتظر قاتلي البرهمن، والذي يذبح البقرة ويرتكب الصغائر، وهي نفس الأماكن التي يطرح فيها شاهد الزور، وهي النار" (١٣٩).

وأماكن التعذيب أو النار تكون مصير الذي يقوم بقتل البرهمن، أو شاهد الزور، والذي لا يبالي بالكيل والوزن، ويكون خادعا محتملا في القيام بعمله" (١٤٠).

وقد وردت صفة أخرى، أو اسم آخر لجهنم في الريح فيدا، وهو الحفرة العميقة التي لا تسبر أغوارها. وهي مكان التعذيب كذلك. والإله اندرا (Indra) إله الطوفان والمطر، والإله سوما (Soma) إله التقدّمات كانا يرميان أتباعهما الأشرار والخادعين، وبهذه الحفرة توجد الشياطين والحيات والعقارب والسحرة (١٤١). وهنا ظهرت لنا صفة أخرى للنار في الهندوسية بأنها حفرة مستورة.

إذا عرفنا بعد الاطلاع على هذه النصوص أن أنواع النار في الهندوسية عديدة، وكل نار خاصة بنوع أو أنواع الذنب الذي يكسبه الإنسان. وجهنم هي مكان العذاب، فالأشرا وفاعلو الإثم يعذبون في هذا المكان، وسيعاقبون بألوان شتى من العذاب. كما عرفنا الأسماء المختلفة التي وردت على سبيل المثال لا الحصر في النصوص الدينية المقدسة، وأنها تعرف باسم أماكن التعذيب كذلك، وأن هذه الأسماء تدل على نوع العذاب الذي يعاني منه الإنسان في هذا المكان.

٣.٣: سعة جهنم وبُعد قعرها:

تتناول بعض الروايات الهندوسية اتساع مساحة النار وعمقها، فمثلا ورد في جارودا فورانا قوله: "إن الإله قال لجارودا: يا جارودا إن قعر ياما يقع قريبا من باهيتابورا (Baheetapura)، ومسافته أربع وأربعون يوجانا. وحسب رواية أخرى: فإن منطقة ياما تتسع ستة وثمانين ألف يوجانا (Yojanas). وهنا يجب على الروح أن تجتاز مائتين وسبعة وأربعين يوجانا في يوم وليلة، واليوجانا الواحد يساوي ثمانية أميال حسب ما نعرفه (١٤٢). وهي تقع تحت الأرض، وهناك طبقات منها لا يمكن سبر أغوارها (١٤٣).

إذا يبدو من النصوص التي تم عرضها سابقا أن النار في الهندوسية تقع خارج هذا العالم المادي،

١٣٩- The Institutes of Vishnu, op.cit. Vol. ٧, p. ٥١.

١٤٠- Ibid, p. ٥٧.

١٤١- Vedic Hymns, part-I, *Sacred Books of the East*, op.cit. Vol. ٣٢, p. ٢١٧, and see also: *Life After Death*, Franz Masumian, Oneworld, Oxford, ١٩٩٦, p. ٧.

١٤٢- Garuda Purana, op.cit. p. ١٦.

١٤٣- Ibid.

كما أنها أماكن عميقة ومظلمة. وهناك تألم من النار وبكاء وصرير للإنسان. ولن يستطيع الإنسان الخروج منها إلا عندما يذوق عقوبة ما كسب من سيئات؛ فلذلك صارت مصير الأشرار. والميت بعد موته مباشرة يصير إلى ذلك العالم وهو عالم ياما حيث تقع نيران أخرى على طريقه أيضاً.

ولكن لن يبقى الإنسان في هذه النار للأبد، وإنما هي بمثابة المطهر^(١٤٤)، فالإنسان بعد ما يتطهر من ذنوبه يخرج من جهنم، ثم إنه إما أن يلقي في جهنم أخرى، أو يعود إلى الأرض حيث يتعرض للتناسخ، نتيجة لأعماله، ولكنه لن يبقى للأبد هناك. وقد نستدل على هذا بالنصوص التي وردت في كتب هندوسية مختلفة، وتحدث عن مدة بقاء الإنسان في النار، وهذه المدة تختلف حسب الذنوب.

٤.٣ : مدة بقاء الإنسان في النار:

أما مدة البقاء في النار في الهندوسية، فتختلف حسب الذنوب، فمثلاً نجد نصاً في منوسمركي يقول: "إن الذين ارتكبوا الذنوب المهلكة، عليهم المرور بطبقات شتى من جهنم لمدة أو فترة طويلة، وبعد ذلك فإن هؤلاء سينالون الولادة في أرحام الحيوانات المختلفة، بعد أن يكون قد نفذت أعمالهم"^(١٤٥).

إذاً بعد البقاء في جهنم لفترة معينة، مهما كانت طويلة، فالإنسان سيخرج منها لكي يخلق على الأرض مرة أخرى. وكذلك الذين قاموا بشهادة الزور، والذين يسيطرون على ممتلكات الآخرين، فإنهم سيقون في النار، وأقسام من جهنم مخيفة وعميقة لمدة كلبا (Kalpa)^(١٤٦). والمراد بكلبا مدة من الزمن تساوي يوم برهما الإله، أو مائة ألف يوج (Yug)، وهذه المدة تساوي أربعة آلاف، أو ثلاثمائة وعشرين ألف سنة بحساب الإنسان^(١٤٧). وهي مدة طويلة كذلك.

وبالإضافة إلى ذكر جميع هذه الطبقات لجهنم، فإن النصوص الهندوسية المقدسة تذكر لنا أصناف الذنوب والنار بصفة عامة، وسأورد هنا بعض النصوص لمزيد من الإيضاح، فمثلاً ورد في القوانين المقدسة للأريان قولهم: "إذا خالف أحد الزوجين العهد المرتبطة بالزواج وقوانينه، فإنه سيدخل جهنم"^(١٤٨).

وأما شاهد الزور، فإن الملك سيعاقبه عقاباً شديداً، بالإضافة إلى العقاب الأخروي حيث يلقي في النار^(١٤٩). وقيل في نص آخر: "إن الشاهد لو لم يتحر الصدق في شهادته، فإن مصيره الذي ينتظره هو

١٤٤- Shayam Gosh, *Hindu Concept of Life and Death*, op.cit. p. ١٩٥.
١٤٥- *The Laws of Manu*, op.cit. p. ٤٩٦.
١٤٦- *The Minor Law Books*, op.cit. Vol. ٣٢, p. ٢٤٦.
١٤٧- Stutely, James and Margret, *Dictionary of Hinduism*, p. ١٣٩.
١٤٨- *Sacred Laws of Aryan*, op.cit. Vol. ٢, p. ١٦٦.
١٤٩- *Ibid*, p. ١٧١.

النار" (١٥٠). وكذلك المرأة التي تصوم أو تقدم التقدمة أو الكفارة بدون إذن زوجها، فإنها ستذهب إلى جهنم حسب ما ورد في مبادئ وشنو (١٥١). وورد في قوانين منو أن البراهمن إذا اختار زوجته من طبقة شودرا، لكي تكون زوجته وهي تنجب ابنا له، فإن هذا البراهمن سيفقد الانتفاء إلى الطبقة المحترمة، ويلقى في النار في الحياة الأخروية (١٥٢).

وهكذا فإن جملة هذه النصوص تدل على اعتقاد الديانة الهندوسية بالنار وخصتها ومكانها، بالإضافة إلى أسماء بعض طبقات جهنم، وهي مصير الأشرار الذين خالفوا القوانين الهندوسية في حياتهم، وما اهتموا بالعمل الصالح.

التعقيب:

بعد الاطلاع على هذه النصوص نستطيع أن نستخلص ما يلي:

- أولاً: الديانة الهندوسية تعتقد بوجود النار، وهي مصير العُصاة في هذه الديانة.
- ثانياً: أن النار لها أقسام مختلفة، ولها أسماء مختلفة كذلك، وهذه الأسماء تدل دلالة واضحة على نوعية العذاب فيها.
- ثالثاً: كل نوع من الذنب له نار خاصة به.
- رابعاً: أن النار في الديانة الهندوسية بمثابة المطهر، حيث يبقى الإنسان هناك إلى أن يتطهر من ذنوبه، ثم إما أن ينتقل إلى جهنم أخرى، أو يعود إلى الحياة الأرضية حسب أعماله الطالحة. فكأنها سلسلة من التناسخ، لكن لن يبقى الإنسان فيها للأبد.
- خامساً: لن يستطيع الإنسان الخروج من هذه النار، إلا إذا استوفى العقوبة على أعماله.
- ٤ - النار في التصور الإسلامي:

إذا كان الله سبحانه وتعالى يكافئ الأبرار بالنعيم، فإنه يجازي الفجار بالجحيم عقاباً لهم على ما اجترحوا من السيئات وكبائر الإثم والفواحش، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، ﴿٨﴾ فَأُمَّهُ هَكَوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾﴾ (١٥٣). أي فمن خف وزن حسناته ﴿فَأُمَّهُ هَكَوِيَةٌ﴾ أي مأواه

١٥٠- Ibid, p. ١٢٤٧.
١٥١- Institutes of Vishnu, op.cit. Vol. ٧, p. ١١١.
١٥٢- The Laws of Manu, op.cit. Vol. ٢٥, p. ٧٨.

ومسكنه الهاوية التي يهوي فيها على رأسه في جهنم، ويُلقى في النار منكوساً على رأسه (١٥٤). إذاً النار دار عذاب الكافرين والمنافقين والعصاة.

وتدل الآيات القرآنية على عدة خصائص بارزة لجهنم، وهي كما يلي:

١.٤ : أنها مخلوقة وموجودة الآن:

فالقرآن الكريم يقرر أن النار مخلوقة الآن، وهي مُعدة للعصاة والكافرين مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَٰكِن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (١٥٥).

يقول صاحب الإرشاد: "الجنة والنار مخلوقتان، إذ لا يحيل العقل خلقهما، وقد شهدت بذلك

آي من كتاب الله تعالى، منها قوله تعالى: ﴿... وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١٥٦).

فالإعداد يصرح بثبوت الشيء وتحققه" (١٥٧). ثم ذكر صاحب المقاصد إجماع المسلمين على خلق الجنة

والنار، خلافاً للمعتزلة، ويستدل على أن النار مخلوقة ومعدة الآن بقوله تعالى: ﴿ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (١٥٨)،

وقوله تعالى: ﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ (١٥٩). والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي جاء تأكيداً لتحقيق الوقوع،

كقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ (١٦٠). وهكذا فالإعداد يصرح بثبوتها والنار موجودة وهي مخلوقة ومعدة

للعصاة (١٦١).

ثم الأحاديث النبوية تثبت خلق النار ووجودها الآن، فمثلاً روى مسلم بسنده عن أبي هريرة

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تَحَاجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أَوْثَرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ

وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لَا يَدْخُلْنِي إِلَّا ضِعْفَاءُ النَّاسِ وَسُقَطُهُمْ وَعِجْزُهُمْ؟ فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

١٥٤ - محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، دار إحياء

التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٤م، ج ١٧، ص ٣٧٧.

١٥٥ - سورة البقرة، الآية: ٢٤.

١٥٦ - سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

١٥٧ - الإمام الجويني، الإرشاد، ص ١٥١.

١٥٨ - سورة آل عمران، الآية: ١٣١.

١٥٩ - سورة الشعراء، الآية: ٩١.

١٦٠ - سورة الكهف، الآية: ٩٩، سورة يس، الآية: ٥١.

١٦١ - سعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد، دار المعارف النعمانية، لاهور، باكستان، ج ٢، ص ١٦١.

للجنة: أنت رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: أنت عذابي، أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلي، فيضع قدمه عليها فتقول قط قط، فهنالك تمتلي، ويزوي بعضها إلى بعض" (١٦٢).

إذا خلق الجنة والنار وإعدادهما، مما صرح به القرآن، وتواترت بذلك السنة، وإليه ذهب أهل السنة والجماعة (١٦٣).

٢.٤ : صفة النار ووقودها:

إن القرآن الكريم يصف النار بصفات رهيبة مخيفة، ويبين ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَذْرَتْ نَارًا تَلْقَىٰ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَىٰ ۖ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ (١٦٤). أي النار التي تتلظى وتتوهج، وهي نار الآخرة، وهي نار موقدة (١٦٥). ويقول تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ۖ نَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ﴾ (١٦٦). وإضافة النار هنا للتفخيم، أي هي نار لا كالنيران، ولذلك فهي لا تحمد أبداً، لأنها موقدة بأمر الله وقدرته (١٦٧). ويؤيد ذلك ما رواه الترمذي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت، فهي سوداء مظلمة" (١٦٨).

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ناركم هذه التي توقد جزء واحد من سبعين جزءاً من حر جهنم. قالوا: والله، إن كانت لكافية يا رسول الله، قال: فإنها فضلت

-
- ١٦٢- الإمام مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة ونعيمها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم الحديث ٧١٧١، ص ١٢٣٥.
- ١٦٣- سعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد، ج ٢، ص ١٦١.
- ١٦٤- سورة الليل، الآيات: ١٤-١٦.
- ١٦٥- القاسمي، محاسن التأويل، ج ١٧، ص ٣٣٦.
- ١٦٦- سورة الهزلة، الآيات: ٤-٦.
- ١٦٧- الرازي، التفسير الكبير، ج ٣٢، ص ٩٤.
- ١٦٨- الترمذي، جامع الترمذي، كتاب صفة جهنم، باب صفة النار أنها سوداء مظلمة، رقم الحديث ٢٥٩١، رقم الصفحة ٥٨٨.

بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها" (١٦٩). ويعني ذلك أن أهل النار يعذبون في هذه النار الحامية كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا آذْرُكَ مَا هِيَةٌ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ (١٧٠).

فهذه الآيات كلها لا تدل إلا على شدة العذاب الذي يعذب به أهل النار يوم القيامة.

أما وقودها، فبين القرآن الكريم أنها توقد بالناس والحجارة، حيث قال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (١٧١). وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَمَا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (١٧٢). والمراد بهذه الآية: يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم من الأسباب المؤدية إلى دخولهم النار، وهي تتقد بهما، أي بالناس والحجارة، بدلا من الحطب، وعليها حراس النار الذين يقومون بتعذيب أهلها، وهم الزبانية، وهم جفاة قساة (١٧٣).

٣.٤: طعام أهل النار:

لقد ذكر القرآن الكريم بعض طعام أهل النار، وهو الزقوم، مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَذَلَّكَ حَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَمَا لَوْ مِنْهَا الْبُطُونِ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِي الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُدُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ (١٧٥). ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ لِيَأْكُلُوا مِنَ الثَّمَرَاتِ الَّتِي لَا يَكُونُوا لَهَا وَالْمَكِيدُونَ ﴿٥١﴾ لَا يَكُونُوا مِنْ شَجَرٍ

١٦٩ - المصدر السابق، باب ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم، رقم الحديث ٢٥٩٠، ص ٥٨٨.

١٧٠ - سورة الفارعة، الآيات: ٨-١١.

١٧١ - سورة البقرة، الآية: ٢٤.

١٧٢ - سورة التحريم، الآية: ٦.

١٧٣ - القاسمي، محاسن التأويل، ج ١٦، ص ١٤٠-١٤١.

١٧٤ - سورة الصافات، الآيات: ٦٢-٦٧.

١٧٥ - سورة الدخان، الآيات: ٤٣-٤٩.

مِنْ زَقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَالْوَنَ وَمَهَا الْبَطُونُ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا شُرْبَ الْهَمِيمِ ﴿١٧٦﴾. فعرفنا من هذه الآيات أن طعام أهل النار يشتمل على الزقوم والضريع؛ يقول القرطبي: "وقال المفسرون إن شجرة الزقوم أصلها في الباب السادس، وأنها تحيا بلهب النار كما تحيا الشجرة ببرد الماء، فلا بد لأهل النار من أن يتحدر إليها من كان فوقها فيأكلوا منها" (١٧٧).

والأحاديث النبوية أيضاً تؤيد هذا الموقف القرآني، فمثلاً روى الترمذي بسنده عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يلقى على أهل النار الجوع، فيعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون، فيعاثون بطعام من ضريع، لا يسمن ولا يغني من جوع. فيستغيثون بالطعام، فيعاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون أنهم كانوا يميزون الغصص في الدنيا بالشراب، فيستغيثون بالشراب فيدفع إليهم الحميم بكلايب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم، فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم..." إلخ (١٧٨).

فهكذا يصف لنا القرآن والسنة طعام وشراب أهل النار.

٤.٤ : سعة جهنم وبعدها قعرها:

إن النار التي أعدها الله سبحانه وتعالى للكافرين والعصاة هي نار عظيمة، وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة وأيدها السنة النبوية كذلك، فمثلاً ورد في القرآن الكريم: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنََّّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (١٧٩). وهذا من باب الوعيد الشديد والتهديد، فالله سبحانه وتعالى أُرصد للكافرين بالله ورسوله ناراً أحاط بهم سورها، فروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لسرادق النار أربعة جدر؛ كثافة كل جدار مسافة أربعين سنة" (١٨٠).

١٧٦- سورة الواقعة، الآيات: ٥١-٥٥.

١٧٧- القرطبي، التذكرة، ج ٢، ص ٤١٦.

١٧٨- الترمذي، جامع الترمذي، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في صفة طعام أهل النار، رقم الحديث ٢٥٨٦، رقم الصفحة ٥٨٧.

١٧٩- سورة الكهف، الآية: ٢٩.

١٨٠- ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٨٣٠، والحديث في جامع الترمذي، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في عظم أهل النار، رقم الحديث ٢٥٨٤، ص ٥٨٦.

وروى الترمذي بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو أن رصاصة قبل هذه، وأشار إلى قبل الجمحة، أرسلت من السماء إلى الأرض، وهي مسيرة خمسمائة سنة، لبلغت الأرض قبل الليل. ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة، لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها وقعرها" (١٨١).

فإذا كانت النار هكذا عظيمة ومؤلمة، فإن الله سبحانه وتعالى يجعل أجساد أهل النار كبيرة كذلك حتى يدوقوا هذا العذاب الأليم، وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَمَا يُضِجَتُّ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (١٨٢). يعني إذا احترقت جلودهم بدّلوا جلوداً غيرها بيضاء، فمثلاً يجعل للكافر مائة جلد بين كل جلدتين، وهذا لون من العذاب الأليم (١٨٣). ومما يؤيد ذلك ما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعاً، وإن ضرسه مثل أحد، وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة" (١٨٤).

وروي عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد، وفخذه مثل البيضاء، ومقعدته من النار مسيرة ثلاث مثل الربذة" (١٨٥).

فهذه الآيات والأحاديث النبوية تدل على العذاب الأليم والمهين الذي أعدّه الله سبحانه وتعالى للكفار والعصاة والمنافقين.

٤ . ٥ : دركات جهنم:

وردت الإشارة صريحة إلى المنازل السفلى للنار في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَهُمْ صَافِينَ﴾ (١٨٦). هذه الآية تدل على أن النار لها دركات وهي سبعة أي طبقات، كما للجنة درجات، فيقال: للنار دركات؛ لأن العرب تستعمل لكل ما سفلى كلمة "درك" ولكل

١٨١ - المصدر السابق، رقم الحديث ٢٥٨٨، رقم الصفحة ٥٨٨.

١٨٢ - سورة النساء، الآية: ٥٦.

١٨٣ - ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٥١٤.

١٨٤ - الترمذي، جامع الترمذي، كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في عظم أهل النار، رقم الحديث ٢٥٧٧، ص ٥٨٥.

١٨٥ - المصدر السابق، رقم الحديث ٢٥٧٨، رقم الصفحة ٥٨٦.

١٨٦ - سورة النساء، الآية: ١٤٥.

ما علا وارتفع "درج" (١٨٧). وعلى الرغم من أن العلماء ذكروا الطائفة المختصة بكل درك من أدراك النار فمثلاً قالوا: الأعلى لعصاة المسلمين، والثاني للنصارى وغيرها إلا أنه ليس هناك دليل من القرآن والسنة على هذا (١٨٨).

٦.٤ : أبواب جهنم:

إن القرآن الكريم يذكر عدد أبواب جهنم، كما ورد في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٣) ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ (١٨٩)، وقوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (١٩٠). ويرى العلماء أن هذه الأبواب تتصف بصفات مثل لظى والحطمة والجحيم والسعير وسقر. وفي ذلك يقول القرطبي: "ذكر عن بعض أهل العلم في قول الله تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ (١٩١) أي من الكفار والمنافقين والشياطين، وبين الباب والباب خمسمائة عام. والباب الأول: يسمى جهنم؛ لأنه يتجهم في وجه الرجال والنساء، فيأكل لحومهم. والباب الثاني: لظى؛ نزاعة للشوى يدعون من أدبر وتولى عن التوحيد. والباب الثالث يقال له: سقر؛ لا يُبقي ولا يذر من جسم الكافر شيئاً. والباب الرابع يقال له: الحطمة؛ لأنه يَحْطِمُ العظام ويحرق الأفتدة، وهي ترمي بشر كالقصر كأنه جمالات صفر. والباب الخامس يقال له: الجحيم. والباب السادس يقال له: السعير، وإنما سمي السعير لأنه يُسَعَّرُ بهم، وفيه جب الحزن الذي تستعيد الخلاق من حره. والباب السابع يقال له: الهاوية، ومن وقع فيه لم يخرج منه أبداً (١٩٢).

والقرآن الكريم يذكر خزنة جهنم قائلاً: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ فِئًا إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (١٩٣).

١٨٧- القرطبي، التذكرة، ج ٢، ص ٤٦١.

١٨٨- المصدر السابق.

١٨٩- سورة الحجر، الآيتان: ٤٣-٤٤.

١٩٠- سورة الزمر، الآية: ٧٢.

١٩١- سورة الحجر، الآية: ٤٤.

١٩٢- القرطبي، التذكرة، ج ٢، ص ٤٦٣.

١٩٣- سورة الزمر، الآية: ٧١.

فيرى معظم المفسرين أن التسعة عشر هم خزنة جهنم، وحكى الواحدي عن المفسرين أن خزنة جهنم تسعة عشر: مالك ومعه ثمانية عشر، أعينهم كالبرق، وأنيابهم كالصياصي، وأشعارهم تمس أقدامهم، يخرج لهب النار من أثوابهم، ما بين منكبَي أحدهم مسيرة سنة، يسع كف أحدهم مثل ربيعة ومضر، نزعَت منهم الرأفة والرحمة، يأخذ أحدهم سبعين ألفا في كفه ويرميهم حيث أراد من جهنم (١٩٤).

ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَدَاؤُنَا بِمَنَاسِكِنَا أَقْرَبُ إِلَيْهِمْ وَأَنْ يُصَلُّوا فِي ظُلُمَاتٍ لَّئِيْلًا يُذَكَّرُونَ﴾ (١٩٥): "فإنه نداء للواحد وليس لمجموع الخزنة، ووجه الجمع بين عليها تسعة عشر وبين نداء أهل النار لمالك فقط، أن مالكا هو رئيس الخزنة، وهم ثمانية عشر، وهو التاسع عشر لهم. وفي ندائهم طلب للراحة بالموت، فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَعَكُون﴾. قال ابن عباس: مكث ألف سنة ثم قال لهم ذلك. أي لا خروج لكم منها ولا محيد لكم عنها" (١٩٦).

إذا وصلنا إلى نتيجة مفادها أن جهنم لها أبواب، ولها خزنة، وهؤلاء الخزنة لهم رئيس، وهو مالك، ولهذا جهنم أو النار دركات، وهذه الدركات تخص مجموعة خاصة، يعذب الكافرون والعصاة والمنافقون في هذه النار العظيمة التي تحطم عظامهم، ويذوقون ألوانا شتى من العذاب الأليم، أعادنا الله منها.

بعد استعراض النصوص التي تكلمت عن النار في الإسلام والهندوسية والاطلاع على صفتها، والأصناف المختلفة للعذاب والتعذيب الموجودة فيها، نحاول بيان أوجه التشابه والاختلاف الخاصة بالنار في الديانتين.

التعقيب:

تبيّن لنا بهذه المناقشة والاطلاع على مفهوم النار في الديانتين:

أولا: أن الهندوسية تتفق مع الإسلام في إيمانها بوجود النار، حتى يعذب فيها الكافرون والمنافقون.

١٩٤ - الرازي، التفسير الكبير، ج ٣، ص ٢٠٣.

١٩٥ - سورة الزخرف، الآية: ٧٧.

١٩٦ - ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٢٩٦.

- ثانياً: كما أنها تتفق مع الإسلام في أن النار مكان التعذيب، حيث توجد فيها ألوان شتى من العذاب الأليم، ولن يستطيع الكافر أو المنافق أو العاصي الفرار من هذه الأصناف للعذاب.
- ثالثاً: وتعتقد كذلك مثل الإسلام بأنها موجودة الآن.
- رابعاً: تختلف الديانة الهندوسية في عقيدتها بأن النار بمثابة المطهر فقط يدخلها الإنسان ويبقى هناك إلى أن يتطهر من المادة الكارمية السيئة أو الأعمال السيئة ثم يعود إلى الأرض ليولد مرة أخرى في قالب مادي يناسب أعماله، يعني يتعرض للتناسخ. في حين أن الإسلام لا يؤمن بالتناسخ، فالكافر يخلد في النار، أما العاصي وغيره من المسلمين فيدخلونها وبعد البقاء فيها لمدة يقدرها الله تعالى يخرجون ويدخلون الجنة، ويتمتعون بالخلود هناك.
- خامساً: لقد ورد ذكر بعض الأسماء لطبقات مختلفة لجهنم في الهندوسية، وهذه الأسماء تحمل دلالة واضحة على نوعية العذاب الموجود فيها. في حين أننا نجد أن الإسلام يذكر أسماء أبواب مختلفة لجهنم فمثلاً لظى، نّزاعة للشوى، وغيرها.
- سادساً: إن الإسلام يتحدث عن سعة جهنم وُعد قعرها وإن كانت التفاصيل تختلف عن تلك التي نجدها في الديانة الهندوسية، ولكنها تتحدث عن سعة جهنم وُعد قعرها أيضاً.
- سابعاً: إن الديانة الهندوسية تتفق مع الإسلام في إيمانها بأن كل من يخالف النصوص الشرعية الهندوسية، ولا يهتم بالقواعد والضوابط الدينية فإنه يستحق عذاب جهنم.
